الفصل الأول
الرسول ﷺ في مكة

obeikandl.com

obeikandl.com

قبل البعثة

obeikandl.com

obeikandl.com

مكة[١]:

تقع مكة في بطن واد، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي، فإلى الشرق يمتد جبل أبو قبيس، وإلى الغرب يحدها جبل قعيقعان. ويمتدان بشكل هلالي فيحصران عمران مكة، وتعرف المنطقة المنخفضة من الوادي بالبطحاء ويقع بها البيت العتيق، وتحيط بها دور قريش، أما المنطقة المرتفعة فتعرف بالمعلاة، أما عند طرفي الهلال فتقوم دور ساذجة لقريش الظواهر وهم أعراب فقراء أصحاب قتال، لكنهم دون قريش البطاح في التحضر والغنى والجاه. وكانت صلات النسب بين قريش وكنانة - حيث إن قريشا تنتمي إلى كنانة - التي تسكن قريبا من مكة، تعطي مكة عمقا إستراتيجيًّا، وقد وثقت صلة النسب بالمحالفات أيضا، وكان الأحابيش الذين يعيشون قريبا من مكة حلفاء لقريش أيضا، وكانوا يستخدمون في حراسة القوافل المكية.

وامتدت الأحلاف لتشمل القبائل التي تقع على خطوط التجارة المكية إلى الشام والعراق واليمن، وكانت قريش تدفع لهم جعالات معينة وتشرك زعماءهم في تجارتهاو وسُمِّي هذا بـ (الإيلاف) الذي أوجده هاشم بن عبد مناف. بل تمكن هاشم بن عبد مناف من الحصول على حق التجارة داخل أراضي الروم والفرس بالاتفاق مع حكامهم، وعقد المعاهدات معهم، وسلوك مسلك الحياد بين القوتين، فارس والروم. واقتصاد مكة يقوم أساسا على التجارة، أما الصناعة فكانت قليلة أبرزها صناعة الأسلحة من رماح وسيوف ودروع ونبال وسكاكين، ثم صناعة الفخار والنجارة لصناعة الأَسِرَّة والأرائك، كما أن الموارد الاقتصادية الأخرى مثل تربية الماشية والصيد

(١) لخصت هذه النبذة من الجزء الرابع من كتاب (المفصل في تاريخ العرب) للدكتور جواد علي، ومن كتاب (مكة عصر ما قبل الإسلام) للسيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز - ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م).

كانت معروفة، ولكن بقيت التجارة أساسا لاقتصاد مكة فكانت سياسة الإيلاف والمعاهدات سببا في ازدهار مكة وتكاثر رؤوس الأموال فيها بسبب الانتقال من التجارة المحلية إلى التجارة الدولية، وساعد النزاع بين الفرس والروم على ازدهار طرق التجارة البحرية بدل الطريق البري بين العراق والشام، فكانت البضائع تنقل من الهند إلى اليمن ثم مكة فالشام، وصارت القوافل الكبيرة تموّل من قبل عدد كبير من المكيين بشكل أسهم تزيد وتنقص حسب قدراتهم المالية، وهكذا ساعدت التجارة على تعميق أواصر المجتمع المكي، إذ ربطته بالمصالح إلى جانب وشائج القربى. لكن هذه المشاركة لم تحل دون نشوء طبقة غنية متخمة وأخرى متوسطة وثالثة معدمة، فرؤوس الأموال الكبيرة بيد الأغنياء، وهي تتعاظم بالتجارة وبالإقراض الربوي للمحتاجين، وبالاستثمار في الزراعة في الطائف المجاورة. وهكذا كان من أغنياء مكة من يأكل بصحاف الذهب والفضة في حين كان أكثر أهل مكة فقراء.

وكانت تجارة مكة تسلك أحيانا الطرق البحرية إلى جانب الطرق البرية، لكنها لم تكن تملك أسطولا تجارياً، بل تستخدم السفن الحبشية في العبور إلى الحبشة، أما السفن الرومية فكانت تصل إلى ميناء الشعيبة قبل أن تأخذ مكانها جدة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكانت قريش تحصل من الحبشة على البخور والأطياب وريش النعام والعاج والجلود والتوابل والرقيق الأسود، وتحصل من الشام على القمح والدقيق والزيت والخمر، وتحصل من الهند على الذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل كالبهار والفلفل ونحوها والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والميعة والزعفران والآنية الفضية والنحاسية والحديدية. وكانت تحمل حاصلات بلاد العرب من الزيت والبلح والصوف والوبر والشعر والجلود والسمن.

والاقتصاد التجاري يحتاج إلى الأمن، وقريش كانت تستعمل سياسة الحلم واللين وليس القوة للوصول إلى غاياتها التجارية وأمان طرقها الخارجية. ولم تدخل قريش في حروب قبل الإسلام سوى حروب الفجار الأربع، التي هي حروب صغيرة ومناوشات. وقد شهد الرسول ﷺ آخرها وهو الفجار الرابع وعمره عشرون سنة، ولم تحرز قريش النصر على الأعراب في تلك المناوشات. وقد ساعدها على تحقيق الأمن وجود الكعبة التي يحج إليها العرب من شتى الأصقاع، حيث تحيط بها أصنامهم الستون والثلاث مئة بعضها جلبها عمرو بن لحي الخزاعي - وهو أول من غَيَّر دين إبراهيم عليه السلام من الشام مثل هبل، وبعضها صنع محلياً، وبعضها ليست مصنوعة، بل هي حجارة مثل أساف ونائلة.

وكون مكة مركزا لعبادة العرب يمنح قريشا الاحترام، ويحقق لها الإيلاف مع القبائل والحماية من ثم لتجارتها. وحرمة مكة قديمة ترجع إلى إبراهيم عليه السلام، وقد ظلت أرضا مقدسة وحرما آمنا حتى ظهور الإسلام، الذي أكد على حرمتها وقدسيتها، ولم يقتصر تقديس الكعبة على المكيين بل امتد إلى العرب في شبه الجزيرة، ولم تتمكن بيوت الأوثان والأصنام من منافستها مثل بيت الأقيصر وبيت ذي الخلصة وبيت صنعاء وبيت رضاء وبيت نجران، ولم تنجح محاولات أبرهة لتحويل الحج إلى القليس التي ابتناها في صنعاء بعد أن أخفقت حملته العسكرية على مكة سنة ٥٧٠م. ورغم وجود أخبار عن سكان مكة القدامى، وهم جرهم ثم خزاعة ثم قريش، فإن معظم الأخبار تخص قريشا، وكثير من أخبارها تشعر بأنها صالحة للبحث التأريخي وليست أسطورية. وخاصة بعد أن جمع قصي بن كلاب عشائر قريش واستولى بها على مقاليد الأمور بمكة - وذلك في النصف الأول من القرن الخامس للميلاد، وبذلك يتطابق التاريخ السياسي

والأدبي، لأن تاريخ الأدب الجاهلي لا يرقى إلى أكثر من ١٥٠ سنة قبل الإسلام- وكانت بيد خزاعة ووزع رباع مكة وخططها بين قريش، فبدأت تبني دورها بالحجر داخل الحرم بعد أن كانت منطقة مشجرة خالية من البناء، وكان الشجر مقدسا لا يقطع حتى قطعه قصي فتجرأ الناس على قطعه. ثم قام قصي بتنظيم مكة فقسم الوظائف والواجبات بين أولاده، وهي الحجابة والسقاية والرفادة واللواء والندوة، وكان قصي قد اتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تتشاور في أمور السلم والحرب، وفيها تجري عقود الزواج والمعاملات، فهي دار مشورة ودار حكومة يديرها (الملأ)، الذين يمثلون زعماء الأسر وأصحاب الرأي في مكة، ويندر أن يقل عمر أحدهم عن سن الأربعين، ويتقيد الناس بأوامر الندوة عادة وعرفا، فليس ثمة قانون مكتوب، وليس ثمة رئيس أو حاكم أو مالك في مكة، ولا يتم انتخاب أعضاء الندوة بالاقتراع بل يحددهم العرف، ويمارس رئيس كل عشيرة صلاحياته على عشيرته. وقد فرض قصي العشر على التجار القادمين إلى مكة من غير أهلها، فصار أحد مصادر الثروة في مكة. وصار أمر قصي في قريش كالدين المتبع اعترافا بفضله وشرفه ويمنه.

وقد اتسم (الملأ) بالمحافظة الشديدة على العقائد والتقاليد والأعراف السائدة، لتأكيد حقوقهم الموروثة ومكانتهم الاجتماعية ومصالحهم الاقتصادية، وكل ذلك يتحقق بالمحافظة على الأوضاع السائدة ووحدة أهل مكة، مما يفسر شدة مقاومتهم للإسلام عند ظهوره، فقد رأوا فيه تهديدا لوحدة قريش، وأغاظهم جدًّا أن يهاجر المسلمون إلى الحبشة ثم المدينة.

لقد قام أبناء قصي وأحفادهم بأعمال مهمة أدت إلى ازدهار مكة وفي الوقت نفسه أبرزت مكانتهم وفضلهم وشرفهم ومكنت لسيادتهم. وإذا

استعرضنا ما أنجزوه، فإن قصيا هو الذي جمع قريشا ومكَّن لها في مكة ونظَّم شؤونها، وأمسك أبناؤه بزمام وظائفه من بعده من السقاية والرفادة والحجابة واللواء والندوة، وتمكن هاشم بن عبد مناف بن قصي من عقد الإيلاف وتوسيع نطاق التجارة المكية بإخراجها من الحدود المحلية إلى النطاق الدولي، وقام بحفر عدة آبار لخدمة قريش والحجيج معا، وعرف المطلب أخو هاشم بالنسك والأمر بترك الظلم والبغي والحث على مكارم الأخلاق، وعرف عبدالمطلب ابن هاشم بالفياض لجوده وبشيبة الحمد لكثرة حمد الناس له، وقد اشتهر بحفر ماء زمزم التي طغت على مياه آبار مكة الأخرى لغزارتها ودوامها، وأنها ألطف مذاقا من مياه آبار مكة الأخرى، وكان أبناء قصي قبل حفرها يأتون بالمياه من آبار خارج مكة. ولم يكن عبدالمطلب أغنى رجل في قريش ولا زعيم مكة الوحيد، ولكن صلته بشؤون البيت العتيق وخدمة الحجيج جعلته من وجهاء مكة، وهو الذي حادث أبرهة عندما غزا الأخير مكة.

وقبيل ظهور الإسلام تولى أبو طالب بن عبدالمطلب الرفادة والسقاية، ولم يكن له مال ينفقه في هذا السبيل فاستدان من أخيه العباس بن عبدالمطلب عشرة آلاف درهم فأنفقها، ولما لم يتمكن من رد المبلغ تنازل عن الرفادة والسقاية إلى العباس بن عبدالمطلب.

وهكذا فإن عشيرة الرسول ﷺ كانت تتبوأ مكانة اجتماعية خاصة في مكة عند ظهور الإسلام، برغم أنهم كانوا وسطًا في الثراء، وربما كانوا دون أوساط تجار مكة، وكان الثراء قبيل الإسلام في بني عبد شمس وبني نوفل وبني مخزوم، وقد نازعتهم العشائر القرشية الأخرى السيادة على مكة، وكان النزاع على السيادة بين تلك العشائر القرشية قد بدأ بين أبناء قصي، وأدى إلى انقسام العشائر إلى محورين، هما المطيبون (بنو عبد مناف ومن حالفهم،

وهم بنو أسد بن عبدالعزى وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر)، والأحلاف (بنو عبدالدار ومن حالفهم، وهم سهم وجمح ومخزوم وعدي)، كما حدثت منافرات ومنازعات داخل الأسرة الواحدة أحيانا، كما حدث بين أمية بن عبد شمس وعمه هاشم بن عبد مناف، ومن بعدهما بين ابنيهما حرب ابن أمية وعبدالمطلب بن هاشم. وقد ساعد الأمن والسلام الذي ساد مكة قبيل الإسلام على بقاء زعمائها خلافًا لزعماء المدينة الذين أفنتهم الحروب الداخلية، وهذا أحد أسباب شدة المقاومة للدعوة الإسلامية من قبل قريش.

ومن أبرز رجالات مكة في عصر الرسالة الأسود بن المطلب والأسود ابن عبد يغوث الزهري، وكانا من أعز قريش في الجاهلية، وكانا من المستهزئين بالرسول ﷺ وأصحابه.

ومن زعماء مكة آنذاك أبو جهل والحارث وعمرو أبناء المغيرة بن هشام المخزومي، وقد اشتهرت عداوة أبي جهل وعمرو للإسلام، وصدهما الناس عن رسول الله ﷺ، وقيام أبي جهل بتعذيب المستضعفين من المسلمين.

ومنهم حكيم بن حزام بن خويلد، والحكم بن أبي العاص بن أمية، والوليد بن المغيرة المخزومي وكان عظيم الثراء، متعاليا متغطرسا، وكان أحد المستهزئين بالإسلام أنفة وغرورا واستكبارا. ومنهم أبو أمية سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس، وكان عدوا على الإسلام محرضا على المسلمين.

ومنهم عمرو بن عبد ود العامري، وهو فارس مشهور.

وسهيل بن عمرو الذي مثل قريشا في صلح الحديبية.

ومنهم الحارث بن قيس بن عدي السهمي أحد المستهزئين بالإسلام وأهله، ومنهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

ومنهم أبو سفيان صخر بن حرب الذي اشتهر بقيادة تجارة قريش الخارجية بالإضافة إلى قيادة مكة في الحرب، وكان معاندا للإسلام، ولعله أكثر الزعماء تصديا للإسلام حتى إسلامه وقت فتح مكة.

ومنهم عبدالعزى بن عبدالمطلب من أغنياء مكة ووجهائها الذين وقفوا بقوة أمام الدعوة الإسلامية.

ومنهم أبو لهب عم الرسول ﷺ، وكان من وجهاء مكة، وعرف بمواقفه العدائية من الإسلام.

ولا شك أن هذا العدد الكبير من الزعماء الأقوياء الذين وقفوا أمام الدعوة الإسلامية وناصبوها العداء وأوقعوا بأتباعها البلاء يوضح الظروف الصعوبات التي واجهت الرسول ﷺ بمكة.

أما الزعماء الذين أسلموا أو وقفوا إلى جانب الإسلام في العهد المكي فهم أبو طالب وحمزة والعباس أبناء عبدالمطلب وأبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب.

الحياة الدينية في مكة[1]

كانت هاجر ورضيعها أول ساكنين بمكة، ثم جاءت جرهم فاستقرت إلى جوار زمزم، ثم ابتنى إبراهيم الكعبة وهي أول بيت لعبادة الله، فإبراهيم

(١) لخصت هذه النبذة من (مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية) لمحمد ابن عبد الوهاب مع شرح محمود شكري الآلوسي، ومن الجزء السادس من كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي، ومن كتاب (الميثولوجيا عند العرب) لمحمود سليم الحوت. والمصدران الأخيران يناقضان العقيدة الإسلامية بسبب تأثرهما بالدراسات الاستشراقية في قضايا الوحي والنبوة.

كان رسولا يدعو إلى عقيدة التوحيد، فلا بد أن جرهم اتبعت الإبراهيمية لتتم المحافظة على التوحيد في الأجيال الأولى بمكة التي أعقبت بناء الكعبة، ويبدو أن عقيدة التوحيد في نفوس الناس أصابها انحراف نحو عبادة الأصنام والأوثان، وتشير كتب الأخبار والتاريخ إلى أثر عمرو بن لحي الخزاعي في جلب هذه الأصنام من الشام إلى مكة وقيامه بالدعوة إلى عبادتها، ويبدو أن تعاليم الإبراهيمية في زمن عمرو بن لحي كانت ضعيفة التأثير في نفوس الناس، وربما كانت تفاصيل الديانة قد ضاعت، ومن هنا ظهر استعداد الناس لقبول الشرك وما يتصل به من عقائد باطلة. وإذا كانت هذه الصورة مأخوذة من أقوال الإخباريين التي كثيرا ما تتضارب وتتعارض فإن من الثابت أن عمرو بن لحي الخزاعي قد ابتدع عادات ومعتقدات في مكة مخالفة للدين الحق، وأن النبي ﷺ بين أنه رآه في المنام يجر قصبه في النار، وأنه أول من سيَّب السوائب[1]، وهو تحريم ظهر الأنعام فلا يحمل عليها شيء نذرا للأصنام فتسيّب فلا تحبس عن مرعى ولا ماء ولا يركبها أحد، وهذا تحريم لم يأذن به الله حتى لو لم يقترن بالنذر للأصنام، وأما مع الاقتران فهو الشرك.

وهذا التأكيد من الإخباريين على أثر عمرو بن لحي لابد أنه يستند إلى أصل تاريخي يثبت أن له أثرا في تحريف الإبراهيمية ونشر الشرك بين أهل مكة وخارجها.

إن أصدق مصدر يبين عقائد الجاهلية هو القرآن الكريم، من خلال جدله الديني مع المشركين وتفنيد عقائدهم، وقد بين الله تعالى في القرآن أن العرب المشركين كانوا يعبدون آلهة مزعومة لتقربهم إلى الله زلفى، ولتشفع لهم

(١) أخرجه البخاري كما في فتح الباري ٦/ ٥٤٧ و ٨/ ٢٨٣.

عنده ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1] فهم يعرفون الله لكنهم يستشفعون إليه بالآلهة المزعومة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾[2]، فيعبدون الأصنام والأوثان معتقدين أنها منازل الأرواح كما بيَّن الإخباريون، وقد اتصلت فيهم هذه الوثنية مع شعائرها وعاداتها واعتقاداتها عقودا متتابعة بسبب التقليد، فكل جيل جديد يرث عن أسلافه هذه الوثنية، فترسخت على مر الأيام لما كانوا عليه من تعظيم الأسلاف ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[3] وقد أعماهم التقليد عن نقد تراثهم العقدي وتحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح. واستتبع الانحراف في العقيدة انحراف في العبادة والسلوك والشعائر والشرائع، فإذا بمناسك الحج تدخلها الوثنية، حيث وضعت الأصنام حول الكعبة، وجرى الطواف حولها مع التعري من الثياب أحيانا، وأصبحت قريش أخيرا لا تخرج إلى عرفات، بل تقف بمزدلفة خلافا للناس. «وكانوا لا يسلأون ولا يأقطون ولا يرتبطون عنزا ولا بقرة ولا يغزلون صوفا ولا وبرا ولا يدخلون بيتا من الشعر والمدر، وإنما يكتنّون بالقباب الحمر في الأشهر الحرم، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم، إما شراء وإما عارية وإما هبة، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك، غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير»، وهكذا ابتدعوا وشرعوا ما لم يأذن به الله مع ادعائهم أنهم على شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام!!.

---

(١) يونس:١٨.

(٢) الأنعام:١٩.

(٣) الزخرف:٢٢.

وكان تصورهم لله فيه قصور ونقص، فهم ينحرفون عن الحق في أسمائه وصفاته ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[١] فينكرون بعض صفاته، ويسمونه بأسماء لا توقيف فيها، أو بما يوهم معنى فاسدا، وينسبون إليه النقائص كالولد والحاجة، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا الجن شركاء له سبحانه ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[٣]، وجحدوا القدر واحتجوا به على الله تعالى ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[٤]. ومن معتقداتهم إنكار البعث ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[٥]، فعبادتهم لإله وتقربهم للأصنام بالقرابين والنذور ليس من أجل الآخرة، بل لتحقيق مطالب دنيوية، مثل زيادة الأموال، ودفع الشر والضرر عنهم في هذه الدنيا، إذ لا علم لهم بالآخرة. ويستثنى من عموم المنكرين للبعث عدد ممن كانوا يقولون بالبعث من الشعراء الجاهليين وغيرهم، ولم تنقل الأخبار تصور هؤلاء لما يقع بعد البعث، وكانوا ينسبون النوازل - ومنها الموت - إلى الدهر ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٦].

وأما العبادة فقد نقصوا منها وزادوا فيها تبعا لأهوائهم، فكانوا ينقصون من الحج الوقوف بعرفة، قالت عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها

---

(١) الأعراف: ١٨٠.
(٢) الأنعام: ١٠٠.
(٣) النحل: ٥٧.
(٤) الأنعام: ١٤٨.
(٥) النحل: ٣٨.
(٦) الجاثية: ٢٣.

يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات. فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها. ثم يفيض منها، فلذلك قوله سبحانه تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[١]، ومن ذلك أنهم كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض. ومما زادوه في العبادة المكاء والتصدية في المسجد الحرام، وهما التصفير والتصفيق، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾[٢]، وكذلك ذبحهم على النصب تعظيما للأصنام، كما كانوا يحلفون باللات والعزى، ومن ذلك استسقاؤهم بالأنواء، وأما أخلاقهم وأعرافهم وعاداتهم، فمنها كثير هدمه الإسلام، كالفخر بالأحساب والطعن بالأنساب، قال النبي ﷺ «أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنائحة»[٣] ومن خصال الجاهلية تعييرهم للبعض بفعل الأمهات والآباء، وافتخارهم بولاية المسجد الحرام قال تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾[٤]، وتعظيمهم الدنيا والأموال وأصحابها، كما تدل الآية ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٥]، وازدراؤهم الفقراء والضعفاء، وقد شاعت فيه العيافة والطرق والطيرة والكهانة. وكانوا يتعوذون بالجن خوفا منهم ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[٦].

---

(١) رواه مسلم (صحيح مسلم ٢/ ٨٩٣ - ٨٩٤ حديث رقم ١٢١٩)، والآية سورة البقرة ١٩٩.
(٢) الأنفال ٣٥.
(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٧/ ١٥٦) ومسلم واللفظ لمسلم (صحيح مسلم ٢/ ٦٤٤ حديث رقم ٩٣٤).
(٤) المؤمنون ٦٧.
(٥) الزخرف ٣١.
(٦) الجن ٦.

وقد حاول البعض استغلال التشابه في مناسك الحج بين الجاهلية والإسلام، وبعض الشعائر التعبدية الأخرى، لإثارة شبهات هي أن تعاليم الإسلام امتداد للعصر الجاهلي مع تغييرات يسيرة في الطقوس، فعقيدة التوحيد نادى بها بعض شعراء العصر الجاهلي، والحج إلى الكعبة كان موجودا من قبل، وكذلك تقديس الأشهر الحرم، وظهور أفكار تتناول القضاء والقدر مع غلبة الجبر، فضلا عن التشابه في الدعوة إلى المروءة والصدق والكرم والشجاعة.

إن الفهم الصحيح لهذا التماثل لا يتحقق إلا بالاعتراف بالوحي والنبوة، وإن الديانة الإبراهيمية تركت تعاليم وعبادات وقيما دينية في مكة وما حولها، كما أن أنبياء آخرين بلغوا أديانا صحيحة إلى الساميين في شبه جزيرة العرب خلال تاريخهم الطويل.

إن الفهم الشامل للإسلام يؤكد أن هذا الدين جاء نقيضا للواقع الفكري والاجتماعي في الحقبة التي ظهر فيها، وليس امتدادا لجهود سابقة، وما هدمه من الواقع الجاهلي أعظم بكثير مما استبقاه.

وإن مراد القائلين[1]: إن الإسلام امتداد وتطور وانعكاس لبيئة فكرية واجتماعية بمكة التأكيد على بشرية القرآن وإنكار النبوة والوحي.

(١) حسين مروة (ت ١٩٨٧م): النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ١/ ٣٨٠، حيث يقرر: «إن الإسلام كان استجابة موضوعية لما يقتضيه مجتمع الجاهلية آنذاك من تغيير تأريخي بسبب ما كان يعانيه من تناقضات مادية حادة». وما كسيم رودنسون: حياة النبي والمشكلة الاجتماعية لأصول الإسلام، نشر في مجلة ديوجين - باريس ١٩٥٧ م (انظر بترجمة وتعليق د. زينب رضوان، مجلة الفكر العربي، العدد ٣٢، السنة الخامسة، حزيران ١٩٨٣ م ص ١٧، ١٨، ١٩ حيث يقول وهو يتحدث عن الإسلام: «والتجربة التاريخية على أن أي انقلاب أيديولوجي أراده فرد أو جماعة لا يمكنه النجاح إلا إذا كان يمثل إجابة لاحتياجات المجتمع في جملته».

ولا شك أن المقاومة العنيفة التي واجهها الإسلام بمكة وأنحاء الجزيرة العربية عامة تجعل من الصعب قبول الأفكار التي تزعم بأن الإسلام جاء تحقيقا لطموح العرب وتطلعهم للوحدة والعدالة الاجتماعية، إن الوعي بقضايا الوحدة والعدالة الاجتماعية ما زال حتى يومنا ضئيلا في عالم البشر في أكثر أرجاء المعمورة، وما زال الاستئثار بالسلطة والظلم الاجتماعي وانتقاص كرامة وحقوق الإنسان تمثل مشكلة مستعصية، فضلا عن العرب الذين طغت عليهم البداوة والتشتت قبيل الإسلام ... فالحقوق التي نالها الإنسان مثل حق الحياة والتملك والشورى وحرية العقيدة وتكافؤ الفرص في الحقوق العامة والمساواة أمام الشرع والقضاء، وحقوق المرأة لم تكن ثمرة نضال اجتماعي كما حدث في تاريخ الحضارة الغربية، بل اكتسب الإنسان هذه الحقوق بواسطة الشرع من سلطة عليا مطلقة، ولئن ضعفت المجتمعات الإسلامية بعد عصر الراشدين عن مواصلة السير على نهجهم بنفس المستوى، بل ظهر النقص والعدوان على حقوق الإنسان، فإن المسئولية تقع على الناس الذين لم يحافظوا على مستوى من الوعي، يمكنهم من الحصول على حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولا تقع على الإسلام نفسه.

صفة رسول الله ﷺ:

كان رسول الله من أحسن الناس وجها، أبيض اللون بياضا مزهرا، مستدير الوجه، مليحه، واسع الفم، طويل شق العينين، رَجِلَ الشعر - بين الجعودة والسبط - يصل إلى شحمة أذنيه، وأحيانا بين أذنيه وعاتقه، وقد يمتد حتى منكبيه أحيانا أخرى، ولم يشب شعره الأسود إلا اليسير منه، حيث قدر شيبه في أواخر عمره بعشرين شعرة موزعة في الرأس وتحت الفم والصدغين، ويميل اللون إلى الحمرة في بعض شعره من أثر الطيب.

وكان متوسط القامة، متوسط الوزن، ليس بالنحيف ولا الجسيم، عريض الصدر ضخم اليدين والقدمين، مبسوط الكفين، كفاه لينتان، قليل لحم العقبين، يحمل في أعلى كتفه اليسرى خاتم النبوة، وهو شعر مجتمع كالزُّرِّ[١].

وهذه الصفات الجسمية تدل على جمال المظهر، واكتمال الجسم وقدرته على النهوض بالواجبات العظيمة التي انيطت به، فلم ير أعداؤه في مظهره ما يعيبونه عليه أو يلقبونه به على سبيل الانتقاص. وإضافة لحسن خلقته الجبلية وسلامة حواسه وأعضائه، فقد اعتنى بمظهره من النظافة وحسن الهيئة والتطيب بالطيب.

أما صفاته الخلقية، فقد وصفه القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] وقالت عائشة ﷺ: «**كان خلقه القرآن**»[٣].

ومن دراسة سيرته وقراءة الأحاديث النبوية في صفاته الخلقية تطالعنا صور التواضع المقترن بالمهابة، والحياء المقترن بالشجاعة، والكرم الصادق البعيد عن حب الظهور، والأمانة المشهورة بين الناس، والصدق في القول والعمل، والزهد في الدنيا عند إقبالها، وعدم التطلع إليها عند

---

(١) سليمان العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، دراسة مقارنة في العهد المكي (رسالة دكتوراه في قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية للعام الجامعي ١٤٠٦/ ١٤٠٧ هـ، ص ١٤٣ - ١٤٥ وسائر الصفات نقلها عن صحيح البخاري ومسلم، وقد لفقت بين الروايات في هذا الوصف. وقد أفدت في حصر الروايات من رسالة الماجستير التي يعدها عادل عبد الغفور التي تناولت (مرويات السيرة في العهد المكي). بإشرافي، وهي تتوقف بعد حادث الإسراء والمعراج مباشرة.

(٢) القلم ٤.

(٣) مسلم الصحيح ١/ ٧٤٦.

إدبارها، والإخلاص لله في كل ما يصدر عنه، مع فصاحة اللسان وثبات الجنان، وقوة العقل، وحسن الفهم، والرحمة للكبير والصغير، ولين الجانب ورقة المشاعر وحب الصفح والعفو عن المسيء، والبعد عن الغلظة والجفاء والقسوة، والصبر في مواطن الشدة، والجرأة في قول الحق.

النبي المختار:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ فهذا اصطفاء النبوة، وفي الحديث الصحيح: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[(١)] فهذا اصطفاء النسب.

وفي حديث صحيح آخر: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرن، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**»[(٢)].

فهذا اصطفاء الزمن...

وقد أجمع النسابون على نسبه إلى عدنان، وإن لم ينقل حديث صحيح بكامل نسبه، ولكن صحت أحاديث ببعضه، على أن من يعرف مدى اهتمام

---

(١) مسلم، الصحيح ١٥/ ٢٦ (بشرح النووي).

(٢) البخاري: الصحيح ٦/ ٥٦٦. وراجع حول القرن فتح الباري ٦/ ٥٧٤، وقد وردت أحاديث كثيرة حول طهارة نسبه، وأنه لم يلتق له أبوان على سفاح من لدن آدم، وكلها أحاديث واهية أو ضعيفة ضعفا شديدا، ولا حاجة بنا إليها، إذ يكفي من الأحاديث الصحيحة الخالية من المبالغات. (انظر بعضها في دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٧٤ - ١٧٥، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٨١ - ١٨٢، وتاريخ دمشق (السيرة) ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣، والمعجم الكبير للطبراني ٨/ ١٦٥ - ١٦٦.

العرب بأنسابها في عصر النبوة وما قبله يدرك أن سلسلة نسبه إلى عدنان لا تحتاج إلى كبير توثيق، ما دام علماء النسب والأخبار متفقين عليها، وما دامت من المعلوم بالضرورة في ذلك العصر.

ونسبه الذي يسوقه علماء النسب هو: «محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر ابن نِزار بن معدّ بن عدنان»(١).

وأما أُمُّه آمنةُ بنت وَهْب فإنها من بني زُهرة.

وقد أقر أبو سفيان أمام هرقل بعلّو نسب النبي ﷺ حين سأله: «كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان: هو فينا ذو نسب. فقال هرقل: فكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها»(٢).

حفر زمزم:

قد تعددت مآثر عشيرة النبي ﷺ في مكة، فكان قُصي ـ جد هاشم، وهاشم جد والد النبي عبدالله ـ أبرزَ رجالات قريش في عصره، وهو الذي نظم إدارة مكة عن طريق استحداث دار الندوة، التي يعقد فيها ملأ قريش اجتماعاتهم، كما أنه وزع الرِّفادة والسِّقاية والحج واللواء بين عشائر قريش.

وقد حافظت العشيرة على مكانتها زمن عبدالمطلب الذي اشتهر بحفر بئر زمزم التي بقيت قرونًا عديدة تمثل أهم عيون المياه بمكة، ومصدر معلوماتنا عن قصة حفر زمزم هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب،

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٨ في ترجمة باب مبعث النبي من كتاب مناقب الأنصار من دون إسناد، وخليفة بن خياط: الطبقات ٣.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٣١ـ ٣٢) كتاب بدء الوحي.

ويبدو أن الرواية كانت معروفة مشهورة لقرب العهد بها، ولعل عليًّا سمعها من أبيه الذي سمعها بدوره من عبدالمطلب، وأما طريق نقل الرواية فهو سند حسن إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رواية ابن إسحاق مصرحًا بالسماع.

وخلاصة ما حكاه عبدالمطلب: أنه رأى رؤيا منامية في أربع ليال، يأمره آتٍ بحفر البئر دون أن يحدد موقعها، وفي المرة الرابعة حدّد له موقع البئر، وصرح باسمها «زمزم». فحفر عبدالمطلب في موقعها وكشف عن الماء، فنازعته قريش وطلبت إشراكها معه في الماء، فلم يقبل، فاحتكموا إلى كاهنة، ولكن قبل وصولهم إليها حدث أن نفد الماء عند عبدالمطلب، ومن معه، وأبت قريش أن تشركه بالماء الذي عندها، حرصًا على الماء في الصحراء، فلما أشرف عبدالمطلب ومن معه على الهلاك وحفروا قبورهم انبجست عين ماء تحت حافر ناقة عبدالمطلب، فشرب القوم جميعًا، واعتبروا ذلك علامة على أحقية عبدالمطلب بماء زمزم، فأسلموها إليه.

ولا شك أن الحادثة والسيطرة على الماء معًا عزَّزتا مكانة بني هاشم في مكة[1]. وأما الآثار التي زعم أنه عثر عليها في البئر، كالغزال الذهبي والسيوف القلعية فلم تصح بها الرواية[2].

---

(١) ابن هشام: السيرة ١/ ١٣١ ـ ١٣٤ وابن إسحاق: السير والمغازي ٢٤ ـ ٢٥ والبيهقي: دلائل النبوة ١/ ٩٣ ـ ٩٥ والأزرقي: أخبار مكة ٢/ ٤٤ ـ ٤٦، وكلهم من طريق ابن إسحاق.

(٢) محمد بن حبيب: المنمق ٣٣٤ من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك (تقريب التهذيب). وعبد الرزاق: المصنف ٥/ ٣١٤ من طريق الزهري مرسلًا، ومراسيله ضعيفة. وابن سعد: الطبقات ١/ ٨٥ بإسناد فيه ضعف إلى أبي مجلز السدوسي (ت١٠٩هـ) بسبب خالد بن خداش -فإنه صدوق يخطئ- مرسلًا، ومن طريق هشام الكلبي وهو متروك. وابن هشام: السيرة ١/ ١٣٤ـ١٣٦ من رواية ابن إسحاق دون إسناد. وأبو عبيد: غريب الحديث ٤/ ٢٦ بالحاشية بإسناد حسن إلى سعيد بن المسيب، الذي لم يحدد سنده إلى عبد المطلب.

وبرغم ذلك فإن تعدد مخارج الخبر (سعيد بن المسيب + الزهري) ينهض لدعم الحدث التأريخي ما دام لا يتعلق بالعقيدة أو الشريعة.

نذر عبدالمطلب:

قد صح النقل عن عبدالله بن عباس أنه قال: «... كان عبدالمطلب ابن هاشم نذر إن تَوافى له عشرةُ رهطٍ أن ينحر أحدهم. فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم أيهم ينحر، فطارت القرعة على عبدالله بن عبدالمطلب، وكان أحب الناس إلى عبدالمطلب، فقال عبدالمطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل. ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل[١]. والرواية يبدو أنها كانت متداولة في أوساط العائلة. وقد بيَّنَت روايتان مرسلتان عن الزهري وأبي مجلز: أن النذر وقع عندما حفر عبدالمطلب زمزم، واشتدَّ عليه من قومه الأذى[٢]. ومناسبة النَّذر وردت من طرق أخرى عديدة، لكنها شديدة الضعف مدارها على الواقدي وابن أبي سَبْرة وأمثالهما.[٣].

ولم تحدد رواية صحيحة تأريخ عزم عبدالمطلب على الوفاء بنذره بنحر عبدالله ابنه، لكن رواية ضعيفة من طريق الواقدي تذكر أن ذلك قبل مولد النبي ﷺ بخمس سنين[٤]. ولعل هذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة

(١) الطبري: تاريخ ٢/ ٢٣٩ـ٢٤٠ بإسناد صحيح رجاله ثقات، وابن أبي شيبة: المصنف ٤/ ١/ ٥٥ بإسناد آخر صحيح عن ابن عباس. وقد أخرج الإمام مالك في الموطأ شطرًا متممًا للرواية يتعلق بفتوى ابن عباس في نذر مشابه بإسناد آخر عن ابن عباس، مما يدعم رواية الطبري (الموطأ ٢/ ٤٧٦).

(٢) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣١٦ـ٣١٧ ودلائل البيهقي ١/ ٨٧ كلاهما عن الزهري، وطبقات ابن سعد ١/ ٨٤ـ ٨٥ بإسناد حسن إلى أبي مجلز لكنه مرسل.

(٣) ابن سعد: الطبقات ١/ ٨٨ ـ ٨٩.

(٤) الحاكم: المستدرك ٣/ ٤٨٢ـ٤٨٣. والطبري: تفسير ٢٣/ ٨٥، وابن كثير: التفسير ٤/ ١٨. وانظر الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٣٧.

عـن الصحابي حكيم بن حزام بن خويلد الأسـدي ـ ابن أخي خديجة ـ قال: ولدت قبل الفيل بثلاث عشرة سنة وأنا أعقل حين أراد عبدالمطلب أن يذبح ابنه عبدالله[١].

والحـادث يوحي بما خطه القدر الإلهي من ميلاد الرسـول ﷺ من أبيه عبداللـه بن عبدالمطلب، فقد حفظ الله حياة عبدالله بما صرف عبدالمطلب عن نحره.

زواج عبدالله من آمنة:

مـن الثابـت تاريخيًّـا أن عبداللـه بـن عبدالمطلـب تزوج مـن آمنة بنت وهـب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وبنو زهرة عشـيرة من قريش، وكان عبدالمطلـب قد تزوج هالة بنت وهيب، ووهيب عم آمنة وقد تربت في بيته، وتفاصيـل الـزواج لم ترد من طريـق صحيحة، إذ مدارها على هشـام الكلبي وعبدالعزيـز بن عمـران والواقدي، وكلهم متروك عنـد المحدثين[٢]. ولكن موضوع الزواج والعلاقات النسبية مستفيض لا يحتاج إلى سند موثق.

وقد نسج بعض الكاذبين حكايةحول عبدالله أرادوا بها المبالغة بإضفاء طابع أسـطوري على المولد النبوي، فادعوا أن بغيًّا ـ ومرةً امرأة مسـتبضِعة، وثالثـة: كاهنـة، ورابعة: زوجـة ثانية لعبدالله ـ دعت عبدالله إلى نفسـها وقد

(١) ابن حجر: الإصابة ٢/ ١١٢.

(٢)الطبراني: المعجـم الكبـير ٣/ ١٤٩، والحاكم: المسـتدرك ٢/ ٦٠١، وأبو نعيـم: الدلائل ١/ ١٦١ من طريق عبد العزيز بن عمران. وابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٨٦، من طريق هشام الكلبي، و١/ ٩٤ـ٩٥ من طريق الكلبي والواقدي. وابن عساكر: السيرة ق ١/ ٣٣٨ـ٣٣٩ من طريق محمد بن عبد العزيز بن عمر، وهو منكر الحديث (لسان الميزان ٥/ ٢٥٩ـ٢٦٠).

رأت في عينيه نورًا، ففارقها إلى آمنة زوجه، ثم عاد إليها فامتنعت منه بحجة أن النور قد اختفى بعد لقائه آمنة![1].

وهذه الرواية منكرة سندًا ومتنًا، ومن يقرأ الروايات المختلفة عنها يدرك مدى الاختلاف والاضطراب في سوقها، سواء في تعيين المرأة، إذ مرة هي خثعمية، وأخرى أسدية قرشية اسمها قتيلة، وثالثة عدوية اسمها ليلى، وكذلك في صفة عبدالله عندما التقته، فمرة هو مطيَّن الثياب، وأخرى هو في زينته[2]!! ومثل هذا الاختلاق ينبغي أن يطرح من دراسات السيرة الجادة.

وفاة عبدالله:

لم يرَ الرسول ﷺ أباه، فقد مات في المدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، وكان في مهمة تجارية فمرض عند العودة ومات فدفن هناك. ولم ترد رواية صحيحة في حادثة وفاته، إذ كل ما ورد عنها ضعيف ضعفًا شديدًا

(١) الطبراني: المعجم الكبير ٣/ ١٤٩ والحاكم: المستدرك ٢/ ٦٠١ وأبو نعيم: الدلائل ١/ ١٦١ من طريق عبد العزيز بن عمران، وابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٨٦ من طريق هشام الكلبي، و١/ ٩٤ـ٩٥ من طريق الكلبي والواقدي. وابن عساكر: السيرة ق ١/ ٣٣٨ـ٣٣٩ من طريق محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري وهو منكر الحديث (لسان الميزان ٥/ ٢٥٩ـ ٢٦٠).

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ٤٤ مرسلًا وعنه البيهقي: الدلائل ١/ ١٠٥ـ١٠٦ وابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٩٥ـ٩٦ بواسطة الواقدي وهشام الكلبي وكلاهما متروك و ١/ ٩٧ بواسطة أبي يزيد المدني مرسلًا وإن صح السند إليه. والطبري: تاريخ ٢/ ٢٤٤ـ٢٤٦ بإسناد ضعيف فيه تدليس ابن جريج، وتدليسه معيب، وفيه محمد بن عمارة القرشي لم أقف له على ترجمة وفيه مسلم الزنجي صدوق كثير الأوهام. وأبو نعيم؛ الدلائل ١/ ١٠٧ـ١٠٨ بإسناد ضعيف لضعف رواية مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند، ولأن عبد الباقي بن قانع كثير الأوهام يصر على الخطأ و ١/ ١٦٢ـ١٦٤ من طريقين مدارهما على (محمد بن عبد العزيز عن أبيه) ومحمد منكر الحديث، وأبوه مجهول.

أو مرسل ضعيف، وأقوى ما ورد قول الزهري مرسلًا: بعثَ عبدُ المطلب عبدَ الله بن عبدالمطلب يمتار له تمرًا من يثرب، فتوفى عبدالله بها، وولدت آمنة رسول الله ﷺ فكان في حجر عبدالمطلب»[١].

ويتفق مع قول الزهري حديث يرويه قيس بن مخرمة وهو صحابي ذكر ولادة الرسول ﷺ فقال:» توفى أبوه وأمه حبلى به»[٢].

وهذا هو المشهور الذي رجحه ابن إسحاق والواقدي وابن سعد[٣].

وخالفهم الكلبي وعوانة بن الحكم، فزعما أن عبدالله لما توفي كان عمر النبي ﷺ ثمانية وعشرين شهرًا، ويقال: سبعة أشهر[٤]. وانفرد الواقدي بتحديد سنِّ عبدالله حين وفاته، وأنه في الخامسة والعشرين من عمره[٥].

والمعروف المشهور أن النبي ﷺ ولد يتيم الأب. قال ابن كثير: «وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه»[٦].

وقد صحت الرواية في ذلك[٧]، وإليه ذهب الواقدي وابن سعد، ووافقهما ابن كثير وآخرون، لكن السهيلي قال: «وأكثر العلماء على أنه كان في المهد»[٨].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣١٧ بإسناد صحيح إلى الزهري، لكن الخبر مرسل.

(٢) مستدرك الحاكم ٥/ ٦٠٥ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي مع أن في إسناده صدقة ابن سابق والمطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، لم يخرج لهما مسلم شيئًا، ولم يوثقهما سوى ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق.

(٣) ابن إسحاق: السير والمغازي ٤٥، وابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٩٩ـ ١٠٠.

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٠.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩.

(٦) ابن كثير: السيرة ١/ ٢٦٠.

(٧) صحيح مسلم ٣/ ١٣٩٢.

(٨) الروض الأنف ٢/ ١٦٠.

وما دامت الرواية الصحيحة قد أثبتت مولده ﷺ يتيمًا، فلا مندوحة عن الأخذ بها وإن خالفها الأكثرون.

وقد ذكر يتمه في القرآن: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾.

مولده ﷺ عام الفيل:

قد صح أن مولد النبي ﷺ كان يوم الإثنين[١]، وتفيد أقوى الروايات التي وصلت إلينا أن مولده كان عام الفيل[٢].

وقد ذكر خليفة أنه «المجتمع عليه»[٣].

فكأنه لا يعتد بمن خالف، والحق أن الروايات المخالفة كلها معلولة الأسانيد، وهي تفيد أن مولده بعد الفيل بعشر سنوات أو ثلاث وعشرين أو أربعين سنة[٤]. وقد ذهب معظم العلماء إلى القول بمولده عام الفيل، وأيدتهم الدراسات الحديثة التي قام بها باحثون مسلمون ومستشرقون، اعتبروا عام الفيل موافقًا للعام ٥٧٠ أو ٥٧١ الميلادي[٥].

إن حادثة الفيل ثابتة الوقوع بنص القرآن ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

---

(١) مسلم: الصحيح ٨/ ٥٢ وأبو داود: السنن ٢/ ٨٠٨- ٨٠٩ وأحمد: المسند ٥/ ٢٩٧، ٢٩٩.

(٢) الحاكم: المستدرك ٢/ ٦٠٣ بإسناده إلى ابن عباس وفيه علة تدليس أبي إسحاق السبيعي وقد عنعن، وابن هشام: السيرة ٢/ ١٥٥ بإسناده إلى قيس بن مخرمة وفيه المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة وهو مقبول يحتاج إلى متابعة تقويه، وقد توبع، فالروايتان تشدان بعضهما، فترقيان إلى الحسن لغيره.

(٣) تاريخ خليفة ٥٣.

(٤) دلائل البيهقي ١/ ٧٨ـ٧٩ وتاريخ دمشق لابن عساكر (السيرة ق ١/ ٥٤، ٦١).

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩/ ٤٤٣، ٤٧٨.

فنص القرآن يقدم أدق تصوير لما حدث لجيش أبرهة، ولا تكاد الروايات التأريخية تخرج عن الوصف القرآني إلا في تحديد جزئيات وتفصيلات يسيرة، وهي روايات تقف عند ابن عباس وعبيد بن عمير من الصحابة، أو عند قتادة (ت١١٧هـ) أو ابن إسحاق (ت ١٥١هـ)[١]، ولا شك أن بينهم وبين الأحداث نصف قرن على الأقل بالنسبة للصحابة الصغار، ولعلهم استقوا المعلومات عمن بقوا أحياء ممن شاهد الحادث، حيث تأخرت وفيات بعضهم، فقد رأت عائشة رضي الله عنها قائد الفيل وسائسه أعميين يستطعمان الناس بمكة[٢]، كما بين الصحابي قباث بن أشيم أن أمه أوقفته على بقايا روث فيل أبرهة وقد تغير لونها، وكان يعقل حيث ولد قبل الفيل بسنوات يسيرة[٣].

---

(١) إن تفاصيل قدوم أبرهة التي مصدرها عبيد بن عمير (ولد في عهد النبي ﷺ؛ وهي أقدم ما وصل إلينا في ذلك وردت بإسناد ضعيف، فيه أبو سفيان طلحة بن نافع وهو مدلس وقد عنعن (ابن أبي شيبة: المصنف ١٤/ ٢٨٤ـ٢٨٥) وروى هذه التفاصيل الأعمش عن طلحة، ومعروف عند المحدثين أن روايته عنه من صحيفة سمع بعضها فقط، ولم يصرح في هذه الرواية بالسماع (ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٢٤ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ٢٢٤ وتعريف أهل التقديس ٣٣)، وأما إسناد الطبري إلى قتادة فحسن، لأن سماع يزيد بن زُريع من سعيد بن أبي عروبة قديم قبل اختلاط سعيد، لكنه مرسل ضعيف (الطبري: تفسير ٣٠/ ٣٠٣ـ٣٠٤)، و قد نقل قول قتادة بسند صحيح إليه من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة (الطبري ٣٠/ ٢٩٧ـ٢٩٩)، أما بقية الروايات المسندة إلى ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وآخرين فإنها تتناول تفسير ألفاظ في سورة الفيل، ولا تقدم صورة تفصيلية للحادث (الطبري: تفسير ٣٠/ ٢٩٦).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧ وخليفة: التاريخ ٥٣ بسند حسن.

(٣) الترمذي: سنن ٥/ ٥٨٩ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق، والحاكم: المستدرك ٢/ ٦٠٣ و٣/ ٤٥٦» وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، مع أن في إسناده المطلب بن عبد الله «مقبول» فقط.

إن القرائن التأريخية المحتفَّة بالروايات التي تفيد مولد النبي ﷺ عام الفيل قوية، ويرى ابن القيم ويتابعه القسطلاني: أن مولد النبي كان في عام الفيل بعد حادثة الفيل، لأن قصة الفيل توطئة وإرهاص لظهوره، حيث دفع الله نصارى الحبشة عن الكعبة دون حولٍ من العرب المشركين تعظيمًا لبيته[١].

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ يوم مولده وشهره، فذهب ابن إسحاق إلى أنه ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[٢]. وذهب الواقدي إلى أنه ولد لعشر ليال من شهر ربيع الأول[٣]. وذهب أبو معشر السندي إلى أنه ولد لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول[٤]. وابن إسحاق أوثق الثلاثة.

صفة حمل آمنة به:

لقد رويت قصص وأخبار حول صفة حمل آمنة به، وأنها لم تر أخفَّ ولا أيسرّ منه، وأنها كانت تلبس التعاويذ من حديد فيتقطع، وأنها رأت في منامها بشارة بجليل مقامه، وأمرت بتسميته بمحمد، ورأت عند استيقاظها صحيفة من ذهب فيها أشعار لتدعو له بها، ولم يثبت شيء من هذه الحكايات[٥].

---

(١) زاد المعاد ١/ ٧٦ وشرح المواهب اللدنية ١/ ١٣٠.

(٢) ابن هشام: السيرة ١/ ١٧١ دون إسناد.

(٣) ابن سعد: الطبقات ١/ ١٠٠ ـ ١٠١ بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر، والواقدي عالم بالمغازي متروك في رواية الحديث.

(٤) ابن سعد: الطبقات ١/ ١٠١ وراجع حول الاختلاف شرح المواهب اللدنية ١/ ١٣٠ ـ ١٣١ وأبو معشر بصير في المغازي ضعيف في الحديث. ـ فيما يقول النقدة.

(٥) ابن سعد: الطبقات ١/ ٩٨ ـ ٩٩ من طريق الواقدي، والسيرة النبوية للذهبي ٢١ برغم حكمه على السند بأنه جيد، لكنه فيه جهم بن أبي جهم جهله الذهبي نفسه (ميزان الاعتدال ١/ ٤٢٦)، والسيوطي: الخصائص الكبرى ١/ ٤٢ وانظر: شرح المواهب اللدنية ١/ ١٠٦ ـ ١٠٧.

كما وردت أخبار ضعيفة تفيد أنه «وقع حين ولدته وقوعًا ما يقعه المولود معتمدًا على يديه، رافعًا رأسه إلى السماء[١]» وأنه وضع تحت قدر من حجر، فانفلقت عنه ليبقى بصره شاخصًا إلى السماء[٢]، وأنه ولد مختونًا[٣]، أو خَتَنَهُ جبريل عليه السلام[٤]، أو خَتَنَهُ عبدُ المطلب يومَ سابعِه،

(١) من حديث حليمة السعدية الطويل في قصة الرضاع الذي يرويه ابن إسحاق، وإسناده ضعيف وقواه بعضهم، ولا تشده روايات الواقدي لأنه متروك (١/ ١٠١- ١٠٢، كما لا تقويه تلك المراسيل عن التابعين من الطبقة الرابعة، وهم حسان بن عطية وإسحاق بن عبد الله ومن بعدهم، وهو داود بن أبي هند لاحتمال وحدة مصدرهم. (طبقات ابن سعد ١/ ١٠٢ـ١٠٣، وأبو نعيم: دلائل النبوة ١/ ١٧٢).

(٢) الأحاديث إما مرسلة كما في طبقات ابن سعد ١/ ١٠٢ بإسناد حسن إلى عكرمة، وكما في دلائل البيهقي ١/ ١١٣ من مرسل أبي الحكم التنوخي وهو تابعي مجهول (الجرح والتعديل ٩/ ٣٠٨) وفي السند إليه عبد الله بن صالح كاتب الليث «صدوق كثير الغلط»، وكما في الدلائل لأبي نعيم (١/ ١٧٢) بسند معضل.

(٣) الأحاديث في ذلك كلها معلولة بعلل قادحة، بحيث لا تنهض مجتمعة للاحتجاج بها، لأن معظمها لا يخلو من وضاع أو متهم، وهي حديث العباس (ابن سعد: الطبقات ١/ ١٠٣) وفي إسناده يونس بن عطاء المكي يروي الموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بخبره (الميزان ٤/ ٤٢٨)، وحديث ابن عباس (الكامل لابن عدي ٢/ ٥٧٦) وفي إسناده جعفر بن عبد الواحد متهم بوضع الحديث (ميزان ١/ ٤١٢) وحديث أنس بن مالك (الطبراني: المعجم الصغير ٢/ ١٤٥ـ١٤٦)، وفي إسناده سفيان بن محمد الفزاري، واهٍ، وفي طرقه عن الحسن ابن عرفة مجهول هو أبو الفضل محمد بن عبد الله البرهاني أو نوح بن محمد قال الذهبي: إن روايته عن ابن عرفة شبه الموضوع (ميزان الاعتدال٤/ ٢٧٩) وحديث أبي هريرة (ابن عساكر: تاريخ دمشق (السيرة) ق١/ ٢١٠ في إسناده محمد بن كثير القرشي واه وإسماعيل ابن مسلم المكي ضعيف مع علة الانقطاع بين الحسن البصري وأبي هريرة. وحديث ابن عمر (ابن عساكر: السيرة ق١/ ٢١٢) في إسناده عبد الرحمن بن أيوب الحمصي وموسى بن أبي موسى المقدسي لا يعرفان إلا أن يكونا عبد الرحمن بن أيوب السكوني وموسى بن محمد بن عطاء المقدسي، والأول تكلم فيه بجرح شديد، والثاني متروك (ميزان الاعتدال ٢/ ٥٤٩، ٤/ ٢١٩ـ٢٢٠ ولسان الميزان ٦/ ١٢٧ـ١٢٩).

(٤) الطبراني: المعجم الأوسط ٢/ ل٥٧ ب بإسناد فيه عبد الرحمن بن عتيبة البصري ومسلمة بن محارب الزيادي مجهولان، وإن وثقهما ابن حبان فإنه يوثق المجاهيل. (ثقات ابن حبان ٥/ ٤٥٢ و٧/ ٤٩٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٢٤). وقال ابن كثير: «هذا غريب جدًّا» (السيرة النبوية ١/ ٢١٠). وقال الذهبي: «هذا منكر» (السيرة النبوية ٨).

وجعل له مأدبة وسماه محمدًا[١]، وبرغم ما في إسناد الرواية الأخيرة من ضعف شديد، فقد قال الحافظ الذهبي: «إنه أصح من حديث العباس أنه ولد مختونًا[٢]». فسرور عبدالمطلب بالمولود الذكر وقيامه نحو اليتيم بالواجب من ختان ووليمة على عادة قومه لا يحتاج إلى أدلة. وقد وردت في ذلك روايات واهية[٣].

وكذلك وردت روايات موضوعة حول هواتف الجان في ليلة مولده وتبشيرها به، وانتكاس بعض الأصنام في المعابد الوثنية بمكة[٤]. وحول ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته، وخمود نيران المجوس، وغَيض بحيرة ساوة، ورؤيا الموبذان الخيل العربية تقطع دجلة وتنتشر في بلاد الفرس[٥].

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب (بحاشية الإصابة) (١/ ٢١ـ ٢٢)، وقال الحافظ العراقي: «وسنده غير صحيح» (الشامي: سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٢٠)، وفي إسناد ابن عبد البر محمد بن أبي السري له أوهام كثيرة (التقريب ٥٠٤)، والوليد بن مسلم كثير التدليس والتسوية وقد عنعن.

(٢) السيرة النبوية ٨. وانظر البيهقي: الدلائل ١/ ١١٣ حيث ساق مرسلًا ضعيفًا لأبي الحكم التنوخي بمعناه.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٣ من طريق الواقدي وهو متروك. ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١١٣ مرسل ضعيف، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣ بإسناد واهٍ فيه محمد بن زكريا الغلابي ضعيف وشيخه الجحدري مجهول (راجع تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٣).

(٤) أبو بكر الخرائطي: هواتف الجان رقم (١٧) و (٧) وفي إسناده وضاعان هما عبد الله بن محمد البلوي وعمارة بن زيد (ميزان الاعتدال ٢/ ٤٩١و٣/ ١٧٧).

(٥) الذهبي (السيرة النبوية ص ١١ـ١٤) من طريق ابن أبي الدنيا وغيره، والخبر مداره على أبي أيوب يعلى بن عمران البجلي ومخزوم بن هانئ المخزومي، لم أقف لهما على ترجمة. وقال الذهبي: هذا حديث منكر غريب. والصالحي: سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٢ نقلًا عن هواتف الجان للخرائطي وتاريخ الطبري ودلائل أبي نعيم والبيهقي.

كذلك وردت روايات ضعيفة عن إخبار يهود بليلة مولده[١]. وإخبار الراهب عيصا بمر الظهران بمولده[٢]. وقول العباس عمه إنه رآه في المهد يُناغي القمر[٣].

ولكن ثمة أخبارًا تَقوى بعضها ببعض إلى الحسن احتفَّت بمولده، منها ما يفيد أن آمنة رأت حين وضعته نورًا خرج منها، أضاءت منه قصور بصرى من أرض الشام[٤].

(١) أخرجها الحاكم (المستدرك ٢/ ٦٠١ـ٦٠٢) وصححه وخالفه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٥٨٣) إنه «بإسناد حسن» مع أن فيه ابن إسحاق مدلس ولم يصرح بالسماع (تعريف أهل التقديس ٥١). وله متابعة عند ابن سعد (الطبقات ١/ ١٦٢ـ١٦٣) وفي إسناده أبو عبيدة بن عبد الله لم أقف على ترجمته. وثمة رواية أخرى عن حسان بن ثابت في المدينة (سيرة ابن هشام ١/ ١٤٧ وفي إسناده «حدثني من شئت من رجال قومي» وهو مبهم وإن أوحى بالكثرة. ولرواية حسان طرق أخرى (دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٨٦ـ٨٩) من طريق الواقدي وهو متروك. ولها شاهد من حديث ابن عباس من طريق الواقدي أيضًا (الطبقات الكبرى ١/ ١٥٩ـ١٦٠).

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق (السيرة) ق ١/ ٣٤٤ـ٣٤٦ وقال ابن كثير: «فيه غرابة» (السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٢٣) وقال الذهبي: «هذا إسناد ساقط» (السيرة النبوية للذهبي ١/ ٦). وآفته من المسيب بن شريك فإنه متروك.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٤١ وقال: «تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول» وقال ابن أبي حاتم عن الحلبي: لا أعرفه، وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول، يدل على أنه كذاب (الجرح والتعديل ٢/ ٤٠). وقال ابن حجر: «وسنده واهٍ جدًّا» (الإصابة ٣/ ٢٣).

(٤) أخرجه ابن إسحاق قال: «حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله» قالوا: «وهذا إسناد حسن»، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وهو صدوق، وتدل الرواية عن الصحابة بصيغة الجمع على استفاضة الخبر في جيل الصحابة وكلهم عدول فلا تؤثر جهالة أسمائهم، وقال ابن كثير عنه: «هذا إسناد جيد قوي» (السيرة النبوية ١/ ٢٢٩) وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٦٠٠) ولا حاجة للاحتراز في إرسال خالد بن معدان عن بعض الصحابة وهم معاذ وأبو عبيدة وأبو ذر وعائشة، فقد لقي سبعين من الصحابة كما أخبر عن نفسه وهو ثقة (تهذيب التهذيب ٣/ ١١٩). ويشهد له حديث عرباض بن سارية الذي أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٧. والحاكم: المستدرك ٢/ ٤١٨ وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني: المعجم الكبير ١٨/ ٢٥٢ وأبو نعيم: الدلائل ١/ ٥٤ والطبري: تفسير ١/ ٥٥٦ وهو ضعيف الإسناد لأن مداره على عبد الأعلى بن هلال السلمي وهو مجهول (الإكمال ٦٤ وراجع سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٠٥٨). كما يشهد له حديث أبي أمامة بإسناد فيه ضعف من قبل الفرج بن فضالة لكنه إسناد شامي، فهو من أجود مرويات الفرج (مسند الطيالسي رقم ٢٣١٥ ومسند أحمد ٥/ ٢٦٢) وانظر عن الفرج التقريب ٤٤٤ والتهذيب ٨/ ٢٦٠ـ٢٦٢. وتوجد مراسيل ومنقطعات تؤيده، لكنها لا تقوى على النهوض به إلى درجة الصحيح لاحتمال وحدة مصدرها (الطبقات لابن سعد ١/ ١٠٢).

مرضعاته:

لقد صح أن ثويبة ـ مولاة أبي لهب ـ أرضعته[١]. وثبت أن عمه حمزة ابن عبدالمطلب أخوه من الرضاعة[٢]. وأما خبر إرضاع حليمة السعدية له في ديار بني سعد، وما ظهر عليه من البركة فهو خبر مستفيض في كتب السيرة قديمها وحديثها، وأقدم من أورده من كتاب السيرة ابن إسحاق (ت ١٥١هـ)[٣].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٩/ ١٤٣).

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٩/ ١٤٠) وصحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٢٣، ٢٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩ـ١٥٣ وأبو يعلى: المسند ١٣/ ٧٤. وابن حبان: موارد الظمآن ٥١٢ ـ ٥١٣ والطبراني: المعجم الكبير ٢٤/ ٢١٢ـ٢١٥ وأبو نعيم: دلائل النبوة ١/ ١٩٣ـ١٩٦، والبوصيري: اتحاف الخيرة ٤/ ٣٦٨ـ٣٧٠. وفي إسناده «جهم بن أبي الجهم عن عبد الله ابن جعفر أو عمن حدثه عن عبد الله بن جعفر ـ بالشك». وجهم لا يُعرف (ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٤٢٦) ولم يوثقه سوى ابن حبان وسماه جهم بن عبد الرحمن وهو مشهور بتوثيق المجاهيل (الثقات ٤/ ١١٤) ولم يصرح عبد الله بن جعفر بالسماع من حليمة إلا عند الطبراني، لكنه صحابي فلا يضر إرساله أيضًا. ولكن الشك بين جهم وعبد الله بن جعفر يضعف السند خاصة وأنه لم يصرح بالسماع في سائر المصادر. وقد تساهل النقاد في تحسين الخبر رغم العلل في سنده، فقال الذهبي: «هذا حديث جيد الإسناد» (السيرة النبوية ٨)، وقال الحافظ ابن كثير: «وهذا الحديث قد روي من طرق أُخَرَ!! وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي (السيرة ١/ ٢٢٨) وكان ابن عبد البر قد ذكر شهرته أيضًا (الاستيعاب مع الإصابة) ١٢/ ٢٦١. وقد وردت له شواهد واهية من حديث ابن عباس (دلائل البيهقي ١/ ١٣٩ـ١٤٥) وابن عساكر: السيرة: ١/ ٣٨٤ـ٣٨٨ والمتهم به محمد بن زكريا الغلابي وفي المسند مجاهيل أيضًا. وقال ابن عساكر: «هذا حديث غريب جدًّا»، وفيه ألفاظ ركيكة لا تشبه الصواب، ويعقوب بن جعفر غير مشهور في الرواية والمحفوظ من حديث حليمة ما تقدم قبل من رواية عبد الله بن جعفر. وله شاهد من حديث أسلم العدوي (ابن سعد: الطبقات ١/ ١٥١ـ١٥٢) لكنه من طريق الواقدي وهو متروك.

وإذا كان خبر حليمة الطويل المشتهر حول رضاعه لم يحظَ بتصحيح المحدثين لعلل إسنادية، فإن رضاعه ﷺ في بني سعد من قبل حليمة السعدية ثابت من طرق أخرى[١].

معجزة شق الصدر:

وقعت أحداث شق صدر النبي ﷺ وغسله ولأمِه، مرتين[٢]، الأولى عندما كان طفلًا في الرابعة من عمره[٣]، يلعَبُ في بادية بني سعد، وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة الشق الأولى عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن

(١) مسند أحمد ٤/ ١٨٤ـ١٨٥ من حديث عتبة بن عبد المسير وسنن الدارمي ١/ ٨ـ٩ ومستدرك الحاكم ٢/ ٦١٦ـ٦١٧ وتاريخ دمشق لابن عساكر (السيرة ١/ ٣٧٦ـ٣٧٧) وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي، كما صححه في تاريخ الإسلام (السيرة ١/ ٢١) وحسن الهيثمي إسناد أحمد (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٢) وحسن البوصيري سنده وقال: «وبقية ثقة» وإن كان مدلسًا فقد صرح بالتحديث في بعض طرقه كما رواه الإمام أحمد، (إتحاف الخيرة ٤/ ٣٧٠ـ٣٧١) وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٣٧٣ مثل قول البوصيري وأضاف: وللحديث شواهد كثيرة (انظر السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٩). والحق أن السند من طريق بقية لا يقوى بتصريحه بالتحديث عن شيخه فقط، بل يلزم أن يصرح بالسماع من سائر طبقات رجال السند لأنه معروف بتدليس التسوية، ولم يصرح بقية في سائر الطرق بسماع بحير بن سعد من خالد بن معدان.

(٢) وردت روايات تفيد وقوع شق الصدر مرة ثالثة قبيل البعثة ساقها أبو نعيم الأصبهاني (دلائل النبوة ص ٦٩) والطيالسي (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ٢/ ٨٦) ـ ط١ سنة ١٩٧٢ هـ، المطبعة المنيرية ـ الأزهر ـ وفي إسنادها داود بن المحبر وهو متروك فروايته ساقطة لا يعوّل عليها، كما ساق السيوطي روايتين تفيدان وقوع شق الصدر قبل البعثة في رؤيا منامية (الخصائص الكبرى ١/ ٢٣٢).

(٣) ذكر عمره ابن سعد: الطبقات ١/ ١١٢ وانظر دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٤٩. وذهب الأموي ومن بعده ابن عبد البر إلى أنه كان في الخامسة، وهذا قد روي عن ابن عباس أيضًا (شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ١٥٠) ولكن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبا نعيم ساقا رواية أخرى تقول: إنه كان في العاشرة وأشهر من عمره (مسند أحمد ٥/ ١٣٩) وإسناده فيه معاذ بن محمد بن معاذ عن أبيه، وكلاهما مجهول كما قال ابن المديني. (الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٤).

قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه[١]، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره[٢].

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوّة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله. فلا يحل في قلبه شيء إلا التوحيد[٣]. وقد دّلت أحداث صباه على تحقق ذلك، فلم يرتكب إثمًا ولم يسجد لصنم[٤]. رغم شيوع ذلك في قومه.

---

(١) جمعه وضم بعضه إلى بعض (شرح النووي على مسلم ٢/ ٢١٦).

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٤٧، كتاب الإيمان، باب ٧٤ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وابن هشام: السيرة النبوية ١/ ١٦٦ بإسناد جيد قوي، كما يقول الحافظ ابن كثير (السيرة النبوية ١/ ٢٢٩ بتحقيق مصطفى عبد الواحد).

(٣) انظر اجتهاد العلماء في استجلاء الحكمة من الحادثة الروض الأنف للسهيلي ٢/ ١٧٣ وفتح الباري لابن حجر ٧/ ٢٠٥.

(٤) زعم المستشرق نيكلسون NICHOLSON أن حديث شق صدر النبي ﷺ أسطورة نشأت عن تفسير الآية القرآنية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١)، وأنه لو كان لها أصل فعلينا أن نخمن أنها تشير إلى نوع من الصرع. NICHOLSON,R.A. Aliterary History of the Arabs (Cambridge,1966). وهذا الذي زعمه نيكلسون سبقه إليه المشركون القرشيون حين اتهموا رسول الله ﷺ بالجنون، فنفى الله عنه ذلك «وما صاحبكم بمجنون» والمعلوم عن المصروع أنه يهذي ويزبد ويفقد وعيه، أما رسول الله ﷺ فقد كان عند الوحي في أشد حالات التركيز الذهني حتى أمره الله تعالى بأن يخفف عن نفسه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: ١٦، ١٧) ثم إنه كان ينطق بكلام مبين عُدَّ آية في البلاغة، فأين هذيان المصروع من ذلك؟!!

أما المرة الثانية التي وقع فيها شق صدره عليه الصلاة والسلام فكانت ليلة الإسراء[١].

لقد أدت هذه الحادثة إلى إعادة الرسول إلى أمه آمنة وجده عبدالمطلب، لأن حليمة خافت عليه[٢]، ورغبت في إنهاء مسئوليتها عنه برغم حبِّها له وتعلقها به.

وحكى الواقدي عن ابن عباس أنه كان في الخامسة من عمره عندما أعادته حليمة[٣].

وذكر غيره أنه رد إلى أمه وهو ابن أربع سنين، وكان معها إلى أن بلغ ست سنين[٤]. حيث توفيت أمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار، فماتت وهي راجعة إلى مكة[٥].

ولم تثبت هذه الأخبار برواية صحيحة، ولكنها مما يتساهل فيه عادة.

وقد ترك يُتم النبي في نفسه أعمق الأثر، ففي طفولته فقد أمه وكان قد ولد يتيمَ الأب. وقد بيَّن الزُّهري أن جده عبدالمطلب كفله ورعاه[٦]. ويذكر

---

(١) انظر ص ٢١٦.

(٢) مسند أحمد ٤/ ١٨٤ـ١٨٥ وسنن الدارمي ١/ ٨ـ٩ ومستدرك الحاكم ٢/ ٦١٦ من حديث عتبة بن عبد السلمي ومداره على بقية بن الوليد وهو مدلس ولم يصرح بالسماع في سائر طبقات الإسناد، بل عنعن في سائرها بين بحير بن سعد وخالد بن معدان، ولو فعل لحسن الإسناد، ويؤيده مرسل الزهري (المصنف لعبد الرزاق ٥/ ٣١٧ـ٣١٨).

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١١٢.

(٤) أبو نعيم: دلائل النبوة ١/ ١١٨ والسيرة الحلبية ١/ ١٢٣ مقتصرًا على عمره بعد مكثه عند أمه، ونقل ذلك عن الأموي.

(٥) هذا هو قول ابن إسحاق سمعه من عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا، وهو قول الواقدي أيضًا (سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥ وطبقات ابن سعد ١/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٦) مصنف عبد الرزاق ٥/ ٣١٨ من مرسل الزهري.

الواقدي أن جدّه حين توفي ـ وكان عمره اثنتين وثمانين سنة ـ أوصى أبا طالب ـ عمَّه ـ به[١].

وكان رسول الله في الثامنة من العمر[٢]. ولا شك أن محمدًا أحس بفقدان جده لما كان يَحبُوه به من العطف والرعاية[٣].

وقد وردت روايات تفيد عطف أبي طالب عليه وتعلقه به[٤]، ومما يدل على شدة محبة أبي طالب إياه صحبته له في رحلته إلى الشام. ويبدو أنه في فترة حضانة أبي طالب له ساعده محمد ﷺ في رعي غنمه، وقد ثبت أنه عمل على رعيها لأهل مكة مقابل قراريط[٥]، ولعل ضيق حال أبي طالب هو الذي دفعه إلى العمل لمساعدته، ورعي الغنم فيه دربة لرسول الله ﷺ على رعاية البشر فيما بعد، فقد ألف العمل والكفاح منذ طفولته، واعتاد أن يهتم بما حوله، ويبذل العون للآخرين، وربما يذكرنا رعيه للغنم بأحاديثه التي تحث على الإحسان للحيوان.

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ١١٧ـ١١٩) والواقدي متروك.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ٦٥ـ٦٦ بسند منقطع والبيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٢١ـ٢٢ والسيرة النبوية للذهبي ٢٥ـ٢٦ بإسناد ضعيف جدًا إلى ابن عباس، لضعف عبد الله بن شبيب الربعي (ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٣٨ـ٢٣٩).

(٣) تشير إلى هذا المعنى روايات ضعيفة كما في طبقات ابن سعد ١/ ١١٢ـ١١٣ ومستدرك الحاكم ٢/ ٦٠٣ـ٦٠٤ وصحح الرواية ووافقه الذهبي، لكن في الإسناد عباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم مستور الحال (تقريب التهذيب ٢٩٣).

(٤) ابن سعد: الطبقات ١/ ١٢٠ بأسانيد مرسلة صحيحة إلى مرسليها وهما عبد الله بن القبطية وعمرو ابن سعيد القرشي. وأما ما ذكره ابن سعد من حلول البركة بطعام آل أبي طالب إذا حضره محمد فلم يثبت من طريق صحيح، بل معظم الأسانيد من طريق الواقدي (راجع الاقتباسات عنه في تاريخ دمشق (السيرة) لابن عساكر ١/ ٧١ـ٧٢ والخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٨٣.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٤/ ١٤١ و٦/ ٤٣٨) وصحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ٥ـ٦.

قصة بحيرى الراهب:

لقد اصطحب أبو طالب النبي ﷺ في سفرة تجارية له إلى الشام، وكان النبي في التاسعة أو العاشرة أو الثانية عشرة من عمره على اختلاف الروايات[١]. وقد دعا راهب يدعى بحيرى في مدينة بُصرى رجال القافلة القرشية إلى طعام، حيث تعرف على النبي من خلال صفاته وأحواله؛ فعرف أنه يتيم، وأنه يحمل خاتم النبوة بين كتفيه، ورأى الغمامة تظله من الشمس وفيء الشجرة يميل عليه عندما ينام إليها. وتختم الرواية القصة بتحذير الراهب لأبي طالب عم النبي من اليهود والروم.

إن أقوى طرق هذه القصة ورد عند الترمذي في جامعه[٢]، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وصححه الحاكم[٣]، وتعقبه الذهبي قائلًا: «أظنه موضوعًا وبعضه باطل»[٤]. وبيَّن اعتراضاته على سند الرواية ومتنها ووصفها بالنكارة، بل يفهم من كلامه شكه في الرواية كلها[٥].

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر ٤٠.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٩٠-٥٩١ بإسناده إلى قراد، ومن طريق قراد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤/ ٢٨٦ وابن أبي الدنيا في هواتف الجان ١٩٤ والحاكم: المستدرك ٢/ ٦١٥ والطبري: تاريخ ٢/ ٢٧٧-٢٧٨ والبيهقي: الدلائل ٢/ ٢٤ والخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٥٢. وأخرجه من طرق معضلة ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ١٢٠، ١٥٣ كما ورد عند ابن إسحاق من مرسل عبد الله بن أبي بكر (تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٨) وفي سيرة ابن إسحاق من دون إسناد (سيرة ابن هشام ١/ ١٨٠).

(٣) الحاكم: المستدرك ٢/ ٦١٥-٦١٦.

(٤) الذهبي: تلخيص المستدرك ٢/ ٦١٥-٦١٦.

(٥) الذهبي: السيرة النبوية / ٢٨.

أسَانيدُ قصَّة بحيرى ٱلرَّاهِب

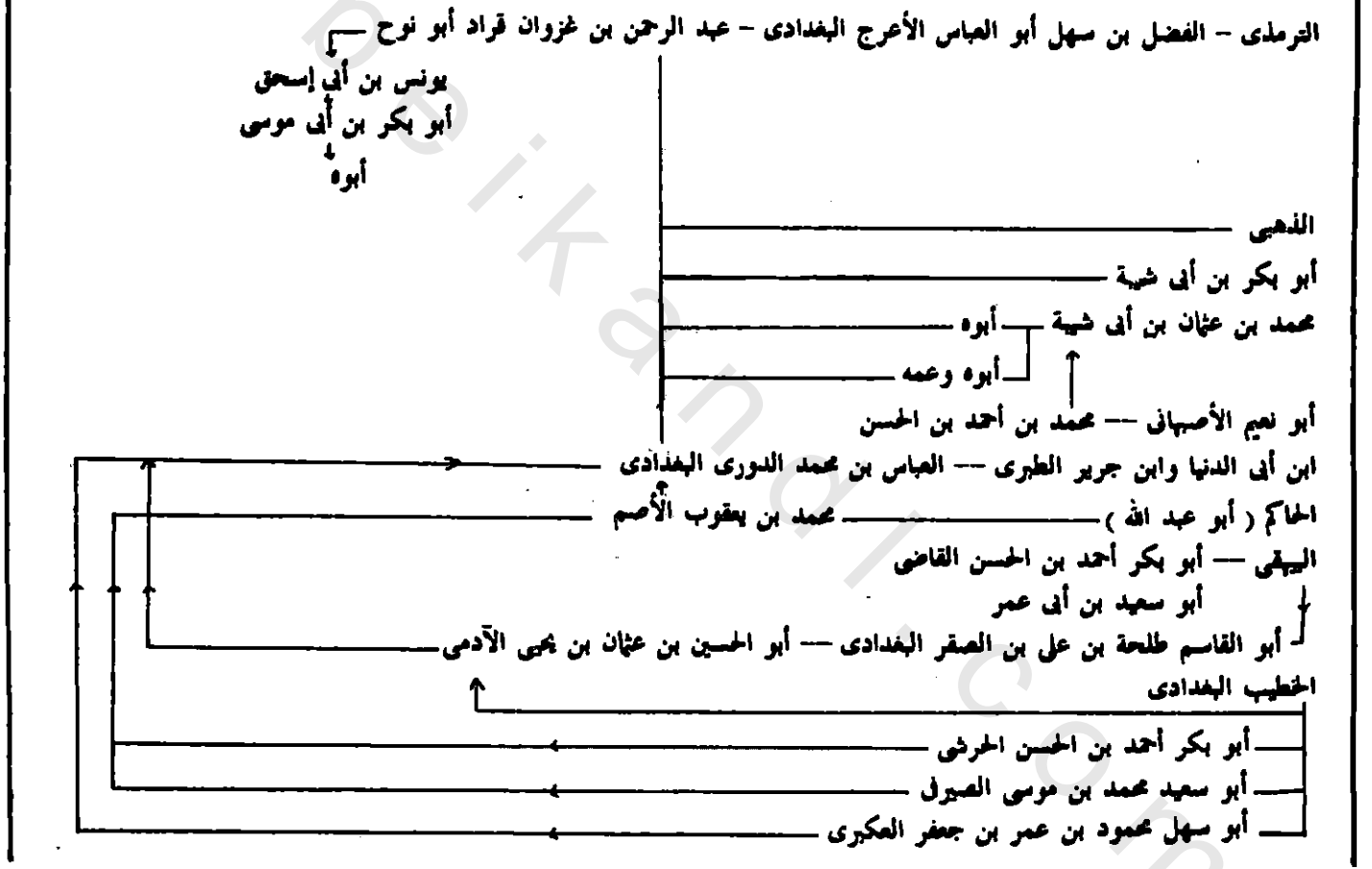

obeikandl.com

محمد بن سعد كاتب الواقدى

الواقدى ← محمد بن صالح بن دينار
الواقدى ← عبد الله بن جعفر الزهرى
الواقدى ← ابن أبى حبيبة – داود بن الحصين

سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى

خالد بن خداش – معتمر بن سليمان – أبوه – أبو مجلز لاحق بن حميد (ت ١٠٦ هـ) ثقة من كبار الثالثة .

عبد الله بن جعفر الرقى – أبو المليح – عبد الله بن محمد بن عقيل (ت بعد ١٤٠ هـ) صدوق فيه لين .

الطبرى

ابن حميد – سلمة – ابن أسحق – عبد الله بن أبى بكر .

ابن أسحق – (بدون إسناد)

محمد بن عائذ – الوليد بن مسلم – أبو داود سليمان بن موسى .

يونس بن يزيد الأيلى – الزهرى .

obeikandi.com

فأما انتقاده للسند فقد قال عن عبدالرحمن بن غزوان ـ راويها ـ: «له مناكير»، ثم قال: «أنكر ماله حديثه عن يونس بن أبي إسحاق في سفر النبي ﷺ وهو مراهق مع أبي طالب إلى الشام»[١] وأما انتقاده للمتن فقد قال: «وهذا حديث منكر جدًّا، وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ ـ بسنتين ونصف، وأين كان بلال في هذ الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد، وأيضًا فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فيء الشجرة؟ لأن ظل الغمامة يَعدم فيء الشجرة التي نزل تحتها، ولم نرَ النبي ﷺ ذكَّر أبا طالب قط بقول الراهب، ولا تذاكرته قريش، ولا حكته أولئك الأشياخ مع توافر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك، فلو وقع لاشتهر بينهم أيما اشتهار، ولبقي عنده ﷺ ـ حسٌّ من النبوَّة، ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولًا بغار حراء وأتى خديجة خائفًا على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه[٢] ﷺ ـ وأيضًا فلو أثَّر هذا الخوف في أبي طالب ورده كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرًا لخديجة؟»

وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقيَّة، مع أن ابن عائذ قد روى معناه في مغازيه دون قوله: «وبعث معه أبو بكر بلالًا .. إلى آخره». فقال حدثنا الوليد بن مسلم أخبرني أبو داود سليمان بن موسى، فذكره بمعناه[٣].

وإنما سقت كلام الذهبي بتمامه لأنه أعلم من انتقد هذه الرواية، فضلًا عما يكشفه كلامه من عناية بالغة بنقد المتون وعدم الاقتصار على نقد الأسانيد ـ كما يتهم البعض المحدثين ـ وكان ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨١.
(٢) راجع هذه المسألة ص ١٤٨.
(٣) السيرة النبوية للذهبي ٢٨.

قد تعقب رواية الترمذي ونبّه على ما في متنها من نكارة، لكنه حصر النكارة في إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالًا، الذي ورد في آخر الرواية[١]. ولعل الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) استفاد منه في نقده لمتن الرواية، وكذلك فإن ابن القيِّم (ت ٧٥١هـ) أفاد منه فيما يبدو حين بيَّن أن ذكر بلال في الرواية خطأ فاحش[٢]. بل يمكن اعتبار ابن إسحاق أول من شكك بالرواية باستعماله صيغة التمريض (يزعمون) ثلاث مرات!!

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل توثيق النقاد لقراد: «وله عند الترمذي حديث من رواية أبي موسى الأشعري فيه ألفاظ منكرة»[٣].

وقال في التعقيب على ذكر أبي بكر وبلال «بأن هذه اللفظة مدرجة في هذا الحديث مقتطعة من حديث آخر .. وفي الجملة هي وهم من أحد رواته»[٤].

ومن هذا العرض يتبين أن نقد الأئمة لهذه الرواية ينصب على المتن، وخاصة الفقرة الأخيرة من الرواية التي تذكر أبا بكر وبلالًا. وقد بين الألباني أن الجزري صحح الإسناد وقال: «وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ» وعقب الألباني بذكر ما ورد في رواية البزار «وأرسل معه عمه رجلًا» مما يجعل احتمال التصحيف في عبارة حديث الترمذي قويًّا بين «رجلًا» و«بلال»[٥]. لكن تبقى صعوبةُ تصحيف «أبي بكر» إلى «عمه» وعلى أي حال فإن وجود النكارة في الفقرة الأخيرة لا يعني ضعف سائر الرواية. ما

(١) عيون الأثر ١/ ٤٣.
(٢) ابن القيم: زاد المعاد ١/ ١٧.
(٣) هدي الساري/ ٤١٨.
(٤) ابن حجر: الإصابة ١/ ١٧٧.
(٥) الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٦٦ـ٦٧.

دام السند صحيحًا، وقول الذهبي في قراد «له مناكير» لا يؤثر في توثيقه، لأن الثقة قد تقع في روايته المناكير، ويحتمل منه ذلك إذا لم يُكثر منها، وأما توسع الذهبي في رد سائر الرواية لمجرد احتمالات قابلة للنقاش، ولا تصلح أدلة للطعن في سائر الرواية فلا مبرر له.

ويمكن أن تطمئن النفس إلى إثبات سفره ﷺ مع عمه إلى بُصرى، وتحذير الراهب بحيرى لعمه من يهود والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى، مثل رواية ابن إسحاق عن عبدالله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري[١] (ت١٣٥هـ)، وهو من التابعين المعنيين بالسيرة، ولكن إسناد ابن إسحاق هذا معضل ضعيف برغم اعتماد معظم المؤلفين على هذه الرواية في قصة بحيرى[٢]. وكذلك رواية أبي مِجلز لاحق بن حميد (ت١٠٦هـ) بإسناد صحيح إليه لكنه مرسل[٣]. وكذلك مرسل الزهري[٤] وكذلك فإن ثمة روايتين من طريق الواقدي أوردهما ابن سعد وأبو نعيم الأصبهاني[٥]. ومثل الواقدي يُستأنس بمروياته إذا لم يخالف وإن كانت مروياته لا تنهض للاحتجاج، بل ولا يعتبر بها في تقوية الضعيف عند علماء الحديث.

---

(١) الطبري: تاريخ ٢/ ٢٧٧ وانظر مغازي ابن إسحاق ٥٢ من دون إسناد.

(٢) الطبري: تاريخ ٢/ ٢٧٨. وابن كثير: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٦. وأبو نعيم: دلائل النبوة ١٢٦. والبيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٢٤. وابن الأثير: الكامل ٢/ ٢٣.

(٣) الذهبي: السيرة النبوية ٢٩.

(٤) أشار إليه الذهبي: السيرة النبوية ٢٩.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠ واعتمد عليه ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٢٢، ٢٣. والسيوطي: الخصائص الكبرى ١/ ١٤١.

وقد حاول بعض المستشرقين أن يبني على هذه القصة اتهامات فيها مجازفة علمية، حيث زعموا أن النبي تلقى علم التوراة عن بحيرى[١] إذ كيف يعقل أن يتلقى النبي في سن الثانية عشرة علم التوراة في ساعة الطعام التي التقى خلالها ببحيرى، وهو أمي لا يحسن القراءة والكتابة؟! فضلًا عن حاجز اللغة، إذ لم يكن قد وجد في ذلك الوقت توراة ولا إنجيل باللغة العربية[٢]. وإذا كان المقصود رد أصول الإسلام إلى التوراة، فأين أثر تعاليم التوراة تلك في حياة الرسول ﷺ وما بين لقائه ببحيرى وبعثته ثمانية وعشرون عامًا!!

أما بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرى فإن المصادر لا تكاد تتفق على شيء بشأنه، بل هي متضاربة في اسمه فمرة جرجيس، وأخرى جرجس، وثالثة سرجيس، ورابعة سرجس[٣]. ومرة أنه مشتق من الآرمية معناه المنتخب، وأخرى من السريانية معناه العالم المتبحر[٤]. ومرة ينسب لقبيلة عبدالقيس فهو عبقسي[٥]. ومرة هو نصراني[٦] وأخرى يهودي[٧].

شهوده حلف المطيبين:

ذهبت رواية الواقدي وابن إسحاق - من دون إسناد - إلى شهوده ﷺ حرب الفجار بين قريش وكنانة من ناحية وقيس وعيلان من ناحية أخرى، وهي حرب في إطار الأعراف والأحلاف الجاهلية، ولم يثبت أن

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب ١٠٢ مونتكمري واط: محمد في مكة ٧٥.
(٢) دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ١٣٥.
(٣) الزرقاني: شرح المواهب اللدنية ١/ ١٩٤ والسهيلي: الروض الأنف ١/ ١١٨ والمسعودي: مروج الذهب ٢/ ٧٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٣٩٧.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٣٩٧ ودائرة المعارف للبستاني ٥/ ٢١٨.
(٥) المسعودي: مروج الذهب ١/ ٧٥.
(٦) ابن إسحاق: سيرة ٥٢.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية ٢/ ٣١ ونسبه للزهري.

رسول الله ﷺ شهدها، ولكن ثبت أنه أخبر عن شهوده حلف المطيبين، وأثنى عليهم قائلا: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه[١]».

وحلف المطيبين كان بين بني هاشم وبني أمية وبني زهرة وبني مخزوم[٢]. وكان الحلف في دار عبدالله بن جدعان، وهو تحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ورد الفضول على أهلها، وقد سمى الحلف بحلف الفضول. وإنما ورد في الحديث باسم حلف المطيبين لأن العشائر التي عقدت حلف المطيبين هي التي عقدت حلف الفضول، وحلف المطيبين جرى قديما بعد وفاة قصي وتنازع بني عبد مناف مع بني عبدالدار على الرفادة والسقاية بمكة[٣].

ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ صرح في بعض هذه النصوص بأنه لم يشهد للمشركين سوى حلف واحد.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٩٠ - ١٩٣ والبخاري: الأدب المفرد رقم ٥٦٧ (ط. الحوت) وابن المقرئ: المعجم ٢٤ بإسناد حسن. والحاكم: المستدرك ٢/ ٢١٩ - ٢٢٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي ثم صححه من المعاصرين الألباني (حاشية فقه السيرة ٧٥. وله شاهد حسن من حديث أبي هريرة (موارد الظمآن ٥٠٤ رقم ٢٠٦٣ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٨ وراجع الألباني: السلسلة الصحيحة ٤/ ٥٢٤) وشاهد آخر يصلح للاعتبار من حديث ابن عباس (الطبراني: المعجم الكبير ١١/ ٢٩٣). وشاهد آخر بسند حسن لكنه مرسل طلحة بن عبد الله بن عوف (سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤ وانظر البيهقي: السنن الكبرى ٦/ ٣٦٧).

(٢) البيهقي: السنن الكبرى ٦/ ٣٦٦ وقال: لا أدري هذا التفسير من قول أبي هريرة أم من دونه. أما ابن إسحاق فيذكر أنهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تميم (سيرة ابن هشام ١/ ١٣٣). وانظر تفاصيل حلف المطيبين في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٦٢ - ٦٣.

(٣) البيهقي: السنن الكبرى ٦/ ٣٦٧ وانظر المعارف لابن قتيبة ٦٠٤.

ثم إن حلف المطيبين القديم لا يحمل من معاني الانتصار للعدالة مثل حلف الفضول، الذي شارك فيه الرسول ﷺ، وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ كان يومذاك في العشرين من عمره[١].

ولا شك أن العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الرسول ﷺ يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين، فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بها حتى لو صدرت من أهل الجاهلية.

زواجه من خديجة:

تشير روايات ضعيفة - بل معظمها واه - إلى تفاصيل تتعلق بزواج الرسول من أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﵂، وهي تحدد بداية التعارف بينهما عن طريق عمل الرسول ﷺ في تجارة خديجة، التي كانت ثرية تضارب بأموالها وقد ذهب بتجارتها إلى جرش مرتين[٢] - قرب خميس مشيط[٣] وكانت تابعة لليمن - أو حباشة - سوق بتهامة من نواحي مكة[٤] - أو الشام[٥] فربح بتجارتها، وحكى لها غلامها ميسرة الذي صحبه عن أخلاقه وطباعه،

---

(١) ذكر ذلك في تاريخ سنه عندما وقعت حرب الفجار بين كنانة (ومعها قريش) وقيس عيلان وكان حلف الفضول منصرف قريش من الفجار (سيرة ابن هشام ١/ ١٨٦ وانظر الذهبي: السيرة النبوية ٣٠).

(٢) مستدرك الحاكم ٣/ ١٨٢ وصححه وأقره الذهبي، وفيه تدليس أبي الزبير وقد عنعن، فالسند ضعيف.

(٣) معجم المعالم الجغرافية في السيرة ٨١ - ٨٢.

(٤) عبد الرزاق: المصنف ٥/ ٣١٩ - ٣٢١ من مرسل الزهري، وانظر معجم ما استعجم للبكري ٢/ ٤١٨.

(٥) ابن إسحاق: سيرة ٥٩ من دون إسناد. وابن سعد: الطبقات ١/ ١٥٥ - ١٥٧ من رواية الواقدي، وهو متروك ولا حاجة بعد سقوط السند من مناقشة ما في المتن من مبالغات كقول الراهب بحيرى: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، وكقوله: «وهو آخر الأنبياء»! وأن خديجة رأته حين دخل مكة «وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك» وراجع مناقشة متون وأسانيد هذه الروايات في كتاب أمهات المؤمنين، دراسة حديثية للدكتور عبد العزيز ابن محمد العبد اللطيف، وهي أطروحة دكتوراه كتبت بإشرافي وحبذا لو نشرت.

فأعجبت به، وقد خطبها لأبيها خويلد بن أسد[١] فزوجه منها، ويذهب ابن إسحاق إلى أن خديجة كانت في الثامنة والعشرين من العمر[٢]، في حين تذهب رواية الواقدي إلى أنها كانت في الأربعين[٣]، وقد أنجبت خديجة من رسول الله ذكرين وأربع إناث مما يرجح رواية ابن إسحاق، فالغالب أن المرأة تبلغ سن اليأس من الإنجاب قبل الخمسين.

وبرغم أن هذه المعلومات لم تثبت حديثيا إلا أنها مشتهرة عند الإخباريين.

وقد سكن رسول الله ﷺ في بيت خديجة، ففيه تزوج، وولدت فيه خديجة أولادها جميعا وفيه توفيت رضي الله عنها، فلم يزل رسول الله ﷺ فيه ساكنا حتى خرج زمن الهجرة فأخذه عقيل بن أبي طالب فيما أخذ[٤].

ولا يوجد من الروايات الصحيحة ما يوضح هذه الأحداث. ولكن الثابت في الروايات الصحيحة زواجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها. وثناء النبي عليها وإظهاره محبتها وتأثره عند ذكرها بعد وفاتها، ومواقفها في تطمينه عند نزول الوحي عليه ومسارعتها للإيمان به، وهي مواقف مشهورة تدل على مكانة خديجة رضي الله عنها في الإسلام[٥]. ومما اتفق عليه أهل العلم أن خديجة

(١) هذا قول الزهري (المغازي النبوية للزهري ٤٢) وابن إسحاق (سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٣) أما الواقدي فيرى أن عمها عمرو بن أسد زوجها لأن خويلد بن أسد مات قبل الفجار (طبقات ابن سعد ١/ ١٣٢ - ١٣٣) ولكن إخباريين آخرين يذكرون أن خويلد بن أسد كان زعيم قومه في حرب الفجار (البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ١٠٢ ومحمد بن حبيب: المحبر ١٧). ويؤيد ابن حجر أن أباها زوجها (فتح الباري ٧/ ١٣٤).

(٢) مستدرك الحاكم ٣/ ١٨٢ من كلام ابن إسحاق دون إسناد.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٧.

(٤) الفاكهي: أخبار مكة ٤/ ٧.

(٥) راجع في فضلها صحيح البخاري ١/ ٣ بدء الوحي، ٤/ ٢٣٠، ٢٣١، ٦/ ١٥٨ وصحيح مسلم ١/ ١٤١ كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ٤/ ١٨٨٦، ١٨٨٨، ١٨٨٩.

أولى أزواجه ﷺ[١]. وقد أنجبت منه ذكرين هما القاسم وعبدالله (الملقب بالطيب والطاهر)، وأربع بنات هن زينب وأم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية[٢]. فأما القاسم وعبدالله فماتا قبل الإسلام، وأدركت البنات الإسلام فأسلمن. وقد توفيت خديجة قبل هجرة النبي إلى المدينة بثلاث سنين[٣]. وذلك قبل حادثة الإسراء والمعراج[٤].

صيانة الله له قبل البعثة (إرهاصات البعثة):

أجمع العلماء على أن النبي ﷺ معصوم عن الكفر قبل الوحي وبعده، وأما تعمد الكبائر فهو معصوم عنها بعد الوحي، وأما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور بعد الوحي. ويستفاد من كلامهم عدم امتناع صدور الكبائر عنه قبل الوحي[٥]، وهذه التقريرات العقدية يتجاوزها استقراء الروايات التاريخية التي تؤكد العصمة من الكفر والكبائر معا قبل الوحي. فقد وردت روايات ما يلي إحداها جيدة[٦] وأخرى ضعيفة تفيد أن الله تعالى عصمه من سماع ومشاهدة الأعراس في صباه يوم أن كان يرعى الغنم[٧]، كما وردت روايات ضعيفة تفيد أن الله تعالى عصمه من العري وهو فتى ينقل مع أقرانه

(١) ابن قدامة: أنساب القرشيين ٥١ وابن حجر: فتح الباري ٧/ ١٣٤.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ٢٢/ ٣٩٧ ومصعب الزبيري: نسب قريش ٢٣١.

(٣) صحيح البخاري ٧/ ٢٢٤ كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي عائشة من رواية عروة، وظاهره الإرسال لكنه يحمل على أنه أخذ الرواية عن عائشة (فتح الباري ٧/ ٢٢٤).

(٤) الفسوي: المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٥ من مرسل عروة.

(٥) السفاريني: لوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٠٥.

(٦) ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤٢١٢ وقال: هكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة، وهذه الطريق حسنة جليلة، ولم أره في شيء من المسانيد إلا في مسند إسحاق هذا، وهو حديث حسن متصل رجاله ثقات.

(٧) ابن إسحاق: السير والمغازي ٧٩ - ٨٠ بسند فيه محمد بن عبد قيس بن مخرمة انفرد ابن حبان بتوثيقه، وقال ابن حجر عنه: مقبول، فيحتاج إلى متابعة. (انظر حاشية فقه السيرة للغزالي ٧٢ - ٧٣ من تعليقات الألباني). وانظر رواية أخرى في إسنادها مجاهيل ساقها الطبراني في معاجمه (المعجم الصغير ٢/ ١٣٨ رقم ٩٢١ ومجمع البحرين ٢ / ل ٢٥ أ).

حجارة يلعبون بها وقد رفعوا أزرهم، فأمر أن يشد عليه إزاره[١]. ولكن قد ثبت أنه نهي عن رفع إزاره وهو رجل لما جددت قريش بناء الكعبة، فقد اشترك مع عمه العباس في نقل الحجارة، فاقترح عليه العباس أن يرفع إزاره ويجعله على رقبته ليقيه أثر الحجارة ما دام بعيدا عن الناس فلما فعل سقط على الأرض مغشيا عليه، فلما أفاق طلب أن يشدوا عليه إزاره[٢]. وكان عمره حين تجديد بناء الكعبة خمسا وثلاثين سنة[٣]. ولم يكن التعري مستنكرا عند العرب في الجاهلية، فقد كانوا يطوفون بالبيت العتيق عراة إلا الحمس (وهم قريش)، كما أن التعري في الطواف استمر حتى منعهم الرسول ﷺ بأمره الذي بلغه أبو بكر الصديق في حج سنة ٩ هـ عندما أعلن (ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)[٤]. لذلك علق ابن حجر على الحديث السابق بقوله: «وفي الحديث أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها»[٥].

(١) ابن إسحاق: السير والمغازي ٧٨ وفي سنده مبهم.

(٢) أخرجه الشيخان (فتح الباري ١/ ٤٧٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٣٣ - ٣٤) من حديث جابر بن عبد الله. وراجع رواية العباس نفسه في السير والمغازي ٧٩ لابن إسحاق من زيادات يونس بن بكير عليه وإسناده فيه سماك بن حرب عن عكرمة وروايته عنه مضطربة مع تغير سماك بأخرة، ولكن تابعه الحكم بن أبان كما قال ابن حجر (الفتح ٣/ ٤٤١) فالسند حسن لغيره. وقد أوضحت هذه الرواية أن تعري العباس والرسول كان بعيدا عن الناس. وسمت رواية مسند أحمد ٥/ ٤٥٤. بسند صحيح أن النبي كان ينقل الحجارة من أجياد وأنه وضع النمرة على عاتقه لأنها ضاقت عليه (راجع حول تصحيحه مستدرك الحاكم ٤/ ١٧٩ والسيرة النبوية للذهبي ٤٠، لكن ابن حجر يرى أن عبد الله بن عثمان بن خثيم أحد رجال السند صدوق فقط - تقريب ٣١٣ - وهو من رجال البخاري ومسلم).

(٣) عبد الرزاق: المصنف ٥/ ١٠٢ - ١٠٤ بإسناد صحيح كما حكم عليه الذهبي (السيرة النبوية ٣٩) وسيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩ - ٢١٤ من كلام ابن إسحاق من دون إسناد.

(٤) البخاري: صحيح ٢/ ١٦٤ كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ٢/ ١٧٥ كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة.

(٥) فتح الباري ١/ ٤٧٥.

إن حادثة تجديد بناء الكعبة قد كشفت عن مكانة النبي الأدبية في الوسط القرشي، فقد اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب بني شيبة فدخل رسول الله، فأمر بثوب فأخذ الحجر ووضعه في وسطه، ثم أمرهم برفعه جميعا ثم أخذه فوضعه مكانه[١]. وقد ذكر عبدالله بن السائب المخزومي - وهو شاهد عيان اشترك في بناء الكعبة يومئذ - بأن قريشا قالت لما دخل النبي من باب بني شيبة «أتاكم الأمين»[٢]. مما يبرز مكانته في قومه قبيل البعثة.

ومما خالف فيه الرسول ﷺ قريشا الوقوف بعرفة، وكانت قريش تفيض من مزدلفة على حين يفيض بقية الناس من عرفة، وتعلل قريش ذلك بأنها أهل الحرم، فليس لها أن تخرج من الحرمة، ولا تعظم غيرها كما تعظمها[٣].

أما رسول الله فكان يقف بعرفة، فلما رآه جبير بن مطعم واقفا بعرفة قال: هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا[٤]!!

(١) أحمد: المسند ٣/ ٤٢٥ والحاكم: المستدرك ٣/ ٤٥٨ من حديث عبد الله بن السائب المخزومي وصححه وأقره الذهبي، لكن مداره على هلال بن خباب وهو صدوق تغير بآخرة ولا يعلم إن كان الراويان عنه هنا وهما عباد وأبو زيد سمعا منه قبل تغيره أم بعده (تهذيب التهذيب ١١/ ٧٨ والكواكب النيرات ٤٣٤) وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه (الطيالسي: مسند ١٨ والحاكم: المستدرك ١/ ٤٥٨ - ٤٥٩ وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي، مع أن خالد بن عرعرة - في إسناده - ليس من رجال مسلم، بل وثقه العجلي وابن حبان وهما متساهلان، وثمة علة أخرى في إسناده هي أن سماك بن حرب في سنده وقد تغيره بآخرة، ورغم تعدد الرواة عنه فإنهم جميعا لم يذكروا فيمن رووا عنه قبل الاختلاط). والحديث من رواية عبد الله بن السائب وعلي يرقى إلى الحسن لغيره. وله شواهد مرسلة تقويه (مصنف عبد الرزاق ٥/ ٩٨ - ١٠٠ عن مجاهد، ١٠٠ - ١٠١ عن الزهري).

(٢) مسند أحمد ٣/ ٤٢٥ والحاكم: المستدرك ٣/ ٤٥٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢١٦.

(٤) صحيح البخاري ٧/ ١٧٥ وصحيح مسلم ٢/ ٨٩٤.

وهذا من توفيق الله لرسوله قبل البعثة، فكان يستمسك بإرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم[١].

وكان يطوف بالبيت العتيق، وقد طاف معه مولاه زيد بن حارثة مرة، فلمس زيد بعض الأصنام فنهاه رسول الله ﷺ عن ذلك، ثم عاد زيد للمسها ليتأكد من الأمر، فنهاه ثانية فانتهى حتى كانت البعثة. وقد حلف زيد بن حارثة بأن رسول الله ما مس منها صنما حتى أكرمه الله بالوحي[٢].

وقد التقى النبي بزيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح قبل البعثة، فقدمت للنبي سفرة فأبى زيد أن يأكل معه، لأنه خشي أن يكون الطعام مما ذُبِحَ على النُّصُب، أو لم يذكر اسم الله عليه[٣].

وقد بين الشراح بهذه المناسبة أن النبي ما كان يأكل ما يذبح على النصب.

بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ:

لقد بشر عيسى عليه السلام قومه بشارة صريحة ببعثة محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٤].

---

(١) البيهقي: دلائل ٢/ ٣٧.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ٥/ ٨٨ والبيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٤ والحاكم: المستدرك ٣/ ٢١٦ - ٢١٧ وصححه وأقره الذهبي لكن الذهبي عاد فحسنه فقط في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية للذهبي ٤٢) وهو الصحيح، لأن في إسناده محمد بن عمرو بن علقمة صدوق له أوهام (التقريب ٤٩٩).

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٤٢ - ٩/ ٦٣٠).

(٤) الصف ٦.

وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل وحذف منهما التصريح باسم محمد ﷺ إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجودا قبل الإسلام وحرمت الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي، وقد أيدته المخطوطات التي عثر عليها في منطقة البحر الميت حديثا، فقد جاءت في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد ﷺ، مثل ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين منه، ونص العبارة (٢٩ فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس ٣٠ فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وفي موضع آخر منه هذه العبارة «١٦٣ : ٧ أجاب التلاميذ: يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم، أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله».

وتتكرر مثل هذه البشارات في إنجيل برنابا في مواضع كثيرة - وهو مطبوع -.

وأما إنجيل لوقا فقد جاء فيه (٢: ١٤) (الحمد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد)، ولكن مترجميه إلى العربية لم يتوفقوا إلى الترجمة الصحيحة عن السريانية، كما حقق ذلك الأستاذ عبدالأحد داود.

وجاء في إنجيل يوحنا في الإصحاح السادس عشر: (إن لم أنطلق لا يأتيكم الفار قليط) والفار قليط هو الحامد أو الحماد أو أحمد ونحوها[1].

وأما تبشير التوراة والإنجيل بالرسول محمد ﷺ بصفاته وعلاماته فقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ

(١) انظر حجازي: التوراة السامرية، وفاضل صالح السامرائي: نبوة محمد بين الشك واليقين.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(١).

قال ابن تيمية: «والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ﷺ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم»(٢).

ثم قال: «ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يُعلم من وجوه: أحدها: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب.

الثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب ممن أسلم وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره بها. وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم، وكانوا ينتظرونه، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام حتى آمن الأنصار وبايعوه.

وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

ومثل ما تواتر عن إخبار النصارى بوجوده في كتبهم مثل إخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر والنجاشي ملك الحبشة.

والوجه الثالث: نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة، واستشهاده بأهل الكتاب، وإخباره بأنه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على أنه كان موجودًا في

(١) الأعراف ١٥٧.
(٢) ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٣٤٠.
(٣) البقرة ٨٩.

كتبهم .. فلو لم يعلم ﷺ أنه مكتوب عندهم بل علم انتفاء ذلك لامتنع أن يخبر بذلك بمرة بعد مرة، ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه»[١].

ومن الثابت تأريخيًا أن أهل الكتاب كانوا يستفتحون أي يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث، الذي يجدون صفته عندهم في التوراة.

وقد نصت التوراة المتداولة (ط. رجارد واطس. بلندن) على ظهور النبي ﷺ بمكة، ونصها: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار في يمينه سنة نار».

ومعنى إن الله استعلن من جبل فاران، أي من جبل مكة وهو جبل حراء، وكان أصحابه ألوفا من الأطهار ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾[٢].

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله: «قد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح نبوة محمد ﷺ باسمه، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى»[٣].

والحق أن نسخ الكتب السماوية التي كانت متداولة بين العلماء من أهل الكتاب خلال القرون الثمانية تعرضت لحذف اسم النبي ﷺ، وحذف النصوص الواضحة الدلالة على صفاته، كما يتضح ذلك من النقول التي أوردها العلماء المسلمون منها في كتبهم، مثل ابن قتيبة والماوردي والقرافي وابن تيمية وابن القيم، مما يشير إلى قيامهم بمحو ذلك من كتبهم على أثر المجادلات الدينية واحتجاج المسلمين بها عليهم. ومع ذلك فقد بقيت

(١) ابن تيمية: الجواب الصحيح ١/ ٣٤٠.
(٢) التوبة ١٠٨.
(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح ٢/ ٢٧.

نصوص ذات دلالة صريحة مثل ما جاء في سفر أشعيا في الإصحاح الحادي والعشرين، ونصه: «١٣ وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدانيين، ١٤ هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبره، ١٥ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدود ومن أمام شدة الحرب، ١٦ فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفني كل مجد قيدار وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم».

وفيها تصريح بظهور الوحي في بلاد العرب والهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بعد اجتماع المشركين على قتل رسول الله ﷺ ثم انتصاره على أبطال بني قيدار وهم العرب في موقعة بدر؛ لأن قيدار هو ابن إسماعيل جد العرب.

ولا شك أن الأدلة على صدق نبوة محمد ﷺ لا تتوقف على هذه البشارات، فدلالات القرآن من الإعجاز البلاغي والتشريع الباهر، ودلالات السنة النبوية الصحيحة على وقوع المعجزات الحسية ومشاهدة الألوف من المسلمين لها، ودلالات سيرة المصطفى ﷺ في إيمانه ويقينه، وعبادته ومجاهدته، ودعوته وجهاده، وعدله وصدقه، وإيمان المقربين إليه العارفين به مثل زوجه خديجة وصديقه أبي بكر ومولاه زيد بن حارثة، كل ذلك يقطع بصدق البعثة المحمدية ..

وكفى بالقرآن معجزة ودلالة على اتصال رسالات الأنبياء واكتمالها برسالة محمد ﷺ، وقد تكون حافزًا لإيمان أهل الكتاب، وهم يقرؤون التبشير ببعثته ﷺ في كتبهم المقدسة تصريحًا باسمه أو وصفًا لحاله وصفاته مما لا ينطبق على سواه.

بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

لقد أخبر سلمان الفارسي في قصة إسلامه الطويلة: أن راهب النصارى في عمورية عندما حضرته الوفاة طلب منه سلمان أن يوصيه، فقال الراهب: «أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه».

ثم قص سلمان خبر قدومه إلى المدينة واسترقاقه، ولقائه برسول الله حين الهجرة، وإهدائه له طعامًا على أنه صدقة فلم يأكل منه الرسول، ثم إهدائه له طعامًا على أنه هدية وأكله منه، ثم رؤيته خاتم النبوة بين كتفيه، وإسلامه على أثر ذلك[1].

وكذلك فإن يهود المدينة كانوا يعرفون أن زمان بعثة النبي قد اقترب، كانوا يزعمون أنه منهم، ويتوعدون به العرب، وقد بين الله تعالى أنهم يعرفونه بصفاته التي ذكرت في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، وإنما أنكروا نبوته بعد ظهروه لما تبين لهم أنه من العرب فجحدوا نبوته.

---

(١) إسناده حسن (ابن إسحاق: السيرة والمغازي ٨٧ - ٩١) ومسند أحمد ٥/ ٤٤١ - ٤٤٤ وطبقات ابن سعد ٤/ ٧٥ - ٨٠ ومستدرك الحاكم ٢/ ١٦ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، مع أن مسلمًا لم يخرج لابن إسحاق إلا في المتابعات (ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥).

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

وقد قال رجال من الأنصار: «إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نستمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم»[٢].

وقال هرقل ملك الروم عندما استلم رسالة النبي ﷺ: «وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم»[٣].

إرهاصات نبوته:

ومن إرهاصات نبوته تسليم الحجر عليه قبل النبوة كما أخبر[٤]. ومنها

---

(١) البقرة ٨٩ وعن سبب النزول راجع سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥ وابن إسحاق: السير والمغازي ٨٤ وتفسير الطبري ٢/ ٧٥ - ٧٦ وإسناد ابن إسحاق متصل صرح فيه بالتحديث، وصرح عاصم بن عمر بالتحديث من رواية يونس بن بكير، وحكم له أحمد شاكر بالرفع، لأنه في وقائع في عهد النبوة تبين سبب نزول آية، وعاصم تابعي ثقة، فالراجح أنه يروي عن الصحابة من قومه الأنصار (تفسير الطبري - تحقيق أحمد شاكر - ٢/ ٣٣٣ بالحاشية).
وقد ساق الطبري له شواهد ضعيفة مرسلة (تفسير ١/ ٤١١).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣١ بإسناد حسن وأما روايات الواقدي في قصة تُبَّع وسفر باطا فواهية (طبقات ابن سعد ١/ ١٥٨ - ١٥٩) وكذلك خبر طلوع كوكب أحمد (الدلائل لأبي نعيم ١/ ٨٨).

(٣) صحيح البخاري ١/ ٦ بدء الوحي، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٥٩ كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي إلى هرقل.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٢ وأما حديث تسليم الجبل والشجر عليه في سنن الترمذي ٥/ ٥٩٣ ففي إسناده عباد بن أبي يزيد مجهول (تقريب ٢٩١) والوليد بن عبد الله بن أبي ثور ضعيف (تقريب ٥٨٢).

الرؤيا الصادقة، وهي أول ما بدئ به من الوحي، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[١].

وقد حبب إليه العزلة والتحنث (التعبد)، فكان يعتزل قومه في غار حراء، وهو في جبل حراء، ويطل الغار على الكعبة[٢]، ويحتاج صعوده إلى جهد ويستغرق الصعود نصف ساعة، فكان يمكث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء[٣].

البعثة المحمدية:

بعث رسول الله وعمره أربعون سنة[٤]. وقد شذت رواية تفيد أن عمره ثلاث وأربعون[٥]. وقد سعى البيهقي للتوفيق بين القولين بالاعتماد

(١) صحيح البخاري ١/ ٣ وصحيح مسلم ١/ ١٣٩.

(٢) قال ابن أبي جمرة: «الحكمة في تخصيصه بالتخلي فيه أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت». وقال ابن حجر: «وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف» (فتح الباري ١٢/ ٣٥٥)، وقد ذكر ابن إسحاق «أن ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية» (سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٣)، وقد ذكر ابن حجر - دون أن يذكر مصدرًا - أن عبد المطلب كان يخلو في غار حراء (فتح الباري ١٢/ ٣٥٥) فالتحنث من بقايا الإبراهيمية.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣ وصحيح مسلم ١/ ١٤٠.

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٥٦٤، ٧/ ١٦٢، ٢٢٧، ١٠/ ٣٥٦) وصحيح مسلم ٤/ ١٨٢٤، ١٨٢٧. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥١، ٢٥٢.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٩٢، ٣٨٤ وانظر كلام النووي وابن حجر عن شذوذها برغم أن رجال السند ثقات وأن راويها هشام بن حسان هو الذي روى رواية الصحيحين (النووي: صحيح مسلم بشرحه ١٥/ ١٠٣ وابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٣٠). وقد ذهب سعيد بن المسيب إلى القول بأن نزول القرآن عليه وهو ابن ثلاث وأربعين (مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٠) لكنه - وإن كان مرسلاً قويًا - مخالف للصحيح كما أن ابن عبد البر حكى عن سعيد أنه ممن قال بأن النبوة كانت سنة أربعين (الاستيعاب بحاشية الإصابة ١/ ١٤).

على مرسل الشعبي: «نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه عشرين [سنة]»[١]. ولكن هذا المرسل لا يصح للاحتجاج به لإرساله، وتفرده، ومثل هذا الخبر لابد أن يشتهر ويعرف في جيل الصحابة، ثم إن مفاجأة الوحي للنبي تدل على خلافه، مما يؤيد رواية الصحيحين بأن البعثة المحمدية بدأت وعمره أربعون سنة.

وثبت أن الوحي نزل عليه أول ما نزل يوم الإثنين[٢].

والمشهور أن نزول القرآن بدأ في شهر رمضان[٣]. والوحي المحمدي نظير الوحي الإلهي إلى الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[٤].

الوحي:

كان رسول الله ﷺ يخلو في غار حراء، ولا نعلم كيف كان تعبده في حراء قبل البعثة، ولا نعلم متى حبب إليه الخلاء بالغار على وجه التحديد، ولكن ذلك كان قبيل البعثة، وبعد أن بدئ بالرؤيا الصادقة التي كانت تمهيدًا للوحي، ولم تذكر المصادر ما هي موضوعات الرؤى، ولكنها كانت رؤى صالحة كما وصفتها الروايات الصحيحة، وكان التحنث في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفد الزاد عاد إلى بيته فتزود لليالي أخرى. وفي نهار يوم الإثنين من شهر رمضان جاءه جبريل بغتة لأول مرة داخل غار حراء. قالت عائشة رضي الله عنها: «فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ: ما أنا بقارئ

(١) البيهقي: دلائل ٢/ ١٣٢ وليس فيه (سنة) وأضفتها للتوضيح، وانظر كلام ابن حجر (فتح الباري ١/ ٢٧) وكلام ابن كثير نقلا عن أبي شامة (السيرة النبوية ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩).
(٢) مسلم: الصحيح ٨/ ٥١، ٥٢ وأبو داود: السنن ٢/ ٨٠٨ - ٨٠٩.
(٣) البقرة ١٨٥ وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٤، ٢٥٨، والسيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٩٢.
(٤) النساء ١٦٣.

فأخذني فغطني[١]. حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها ترجف بوادره[٢]. حتى دخل على خديجة فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر. قال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن قصي - وهو ابن عم خديجة أخو أبيها - وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ياليتني فيها جذعًا أكون حيًا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومي أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ - فيما بلغنا - حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدي له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك»[٣].

---

(١) ضمني وعصرني (فتح الباري ١/ ٢٤).

(٢) بوادره: جمع بادرة وهي لحمة بين المنكب والعنق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب التعبير (٨/ ٦٧) ومواضع أخرى (انظر فتح الباري لابن حجر ١٢/ ٣٥١ - ٣٥٢، ١/ ٢٢، ٨/ ٧١٥، ٧٢٢ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ١/ ١٣٩).

وقد أوضح هذا الحديث أن (اقرأ) هي أول ما نزل من القرآن، وأن الرسول فوجئ بالوحي دون أن يتوقعه فراعه الموقف، كما يوضح الحديث موقف خديجة رضي الله عنها في تطمينه ومساعدته على معرفة كنه الحدث، كما يبين قدر معلومات ورقة عن الأنبياء وتنبهه للأخطار التي ستحدق بالنبي، لكن ورقة مات قبل تتابع الوحي، وقد انقطع الوحي مدة، ويوضح بلاغ الزهري الأزمة التي تعرض لها الرسول لانقطاع الوحي، وإنه كاد يتردى من شواهق الجبال، وأن جبريل عليه السلام كان يظهر له في كل مرة ويبشره بأنه رسول الله ﷺ، ولكن بلاغ الزهري لا يصلح لإثبات الحادث لتعارضه مع عصمة النبي[1]. ثم إنه مرسل ضعيف. ولا يُعلم على وجه التحديد كم دامت مدة

(١) ساق البخاري الخبر بعد عبارة - فيما بلغنا - متخللة حديث بدء الوحي الذي رواه بسنده من طريق (معمر قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة) ولولا عبارة (فيما بلغنا) لصار خبر محاولة التردي من الشواهق صحيحًا، ولكن ابن حجر ذهب إلى أنه بلاغ مرسل وليس موصولاً من رواية عروة عن عائشة (فتح الباري ١٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠) ومراسيل الزهري ضعيفة. وقد أورد الطبري الخبر من مرسل الزهري (تاريخ الطبري ٢/ ٣٠٥) ويدل صنيع الذهبي في سوق سند حديث بدء الوحي مع اقتصاره على متن خبر محاولة التردي من شواهق الجبال على أنه يرى وصل الحديث (السيرة النبوية للذهبي ٦٤). كذلك وصله الطبري في تاريخه ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩ من رواية النعمان بن راشد الجزري عن الزهري، والنعمان صدوق سيء الحفظ كما في تقريب التهذيب ٥٦٤ وقد تفرد بزيادات ضعيفة في هذا الخبر وخاصة فيما يتعلق بأول ما نزل من القرآن بعد ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق: ١). ويذكر الألباني أن هذه الزيادة لها علتان، الأولى تفرد معمر بها دون يونس وعقيل فهي شاذة، الأخرى أنها مرسلة مفصلة ولم تأت من طريق موصولة يحتج بها ... وهي زيادة منكرة من حيث المعنى، لأنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل، مهما كان الدافع له على ذلك. (الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ٤١ وأحال أيضًا على سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٤٨٥٨).

انقطاع الوحي، ولكن يبدو أنها لم تدم طويلًا[١]، حيث اطمأنت نفس الرسول وتهيأ لاستقباله فتتابع الوحي وكثر. وأول ما نزل بعد فتوره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[٢] وقد تكرر إبطاء الوحي في وقت آخر ليلتين أو ثلاثًا، فقال المشركون: قد ودَّع محمدًا ربُّه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣] وقد اختلط الأمر على بعض الرواة، فحسبوا أنها نزلت عقب فترة الوحي الطويلة التي أعقبت نزول ﴿ٱقْرَأْ﴾[٤].

وقد ذكر ابن إسحاق فترة ثالثة للوحي لكنها لا تصح[٥]. وقد وردت روايات ضعيفة أو واهية السند ومنكرة المتن، تفيد أن جبريل علم الرسول الوضوء، أو أن خديجة تحققت من كون الذي يراه الرسول ملاكًا وليس شيطانًا[٦]. أو أن وقوع شق الصدر تكرر معه في بدء الوحي[٧]. أو أن أول

---

(١) ورد أنها كانت سنتين ونصف سنة (الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٤٣٣ - ٤٣٤) وورد عن ابن عباس أنها دامت أربعين يومًا. (شرح المواهب اللدنية ١/ ٢٣٦).

(٢) متفق عليه (فتح الباري ٨/ ٦٧٨ - ٦٧٩، ٧١٥، ١/ ٢٧، ٦/ ٣١٤) وصحيح مسلم ١/ ١٤٣.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٤٢٢ وانظر تحديد المدة في صحيح البخاري. (فتح الباري ٣/ ٨، ٧٠١، ٩/ ٣).

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية ١/ ٤١٣ - ٤١٤. وابن حجر: فتح الباري ٨/ ٧١١ وانظر بعض الروايات الضعيفة في تفسير الطبري ٣٠/ ٢٣١ - ٢٣٢ وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤١ ط السقا وتاريخ الطبري ٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠ بسند حسن لكنه مرسل عبد الله بن شداد بن الهاد ولد على عهد النبي ولم يسمع منه، ومتنه مخالف للروايات الصحيحة.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢١ - ٣٢٢ بلاغًا عن ابن عباس وتفسير الطبري ١٥/ ١٢٧ - ١٢٨ من طريق ابن إسحاق وفيه مبهم، وفيها أنه ﷺ وعد المشركين بالإجابة عن أسئلتهم عن أصحاب الكهف والرجل الطواف والروح. ولم يستثن فتأخر عنه الوحي خمس عشرة ليلة.

(٦) راجع روايتي ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩ بسندين أولهما معضل وثانيهما مرسل، ورواية أبي نعيم في دلائل النبوة ١/ ٢٨٣ - ٢٨٤ بسند فيه النضر بن سلمة كذبه غير واحد (ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٢٥٦ - ٥٢٧).

(٧) مسند الطيالسي ٢١٥ - ٢١٦ بسند ضعيف فيه مبهم ومتنه منكر، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ١٤٢ - ١٤٤ من مرسل الزهري ضعيف، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٩٣ بسند مرسل وفيه ابن لهيعة ضعيف.

مجيء جبريل إليه كان وهو نائم بحراء[١]، أو أن أبا بكر هو الذي صحبه إلى ورقة[٢]. وهذا كله لا يثبت.

وكان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة[٣]، فكان جبينه يتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، وكان وجهه يتغير ويكرب[٤] وجسمه يثقل، يقول زيد بن ثابت: «فأنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فثقلت عليَّ حتى خفت أن ترض فخذي»[٥]. وكان يركز ذهنه بشدة لحفظ القرآن، فيحرك به لسانه وشفتيه، فنزلت الآية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[٦] تخفيفًا عنه ﷺ، كان شوقه إليه وحرصه عليه يدفعه إلى التعجل في تلقيه، كما بينت ذلك الآية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٧] وقد سئل رسول الله ﷺ:

كيف يأتيك الوحي؟ فأجاب: أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليَّ - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول[٨].

---

(١) ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٦ - ٢٣٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٠٠ - ٣٠١ من مرسل عبيد بن عمير بن قتادة الليثي.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٢ - ٢٩٣ بسند فيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس، وفيه انقطاع فأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني ليس صحابيًا.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٣٠.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٨١٧.

(٥) صحيح البخاري ٥/ ١٨٢.

(٦) صحيح البخاري ٦/ ٧٦ وصحيح مسلم ١/ ٣٣٠ والآيتان من سورة القيامة ١٦، ١٧.

(٧) طه ١١٤.

(٨) صحيح البخاري ١/ ٢، ٣ وصحيح مسلم ٤/ ١٨١٦، ١٨١٧.

وكان الوحي يأتيه في اليقظة كما تدل الأحاديث الصحيحة[١].

لقد استغرق نزول الوحي ثلاثًا وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر عامًا بمكة وهذا هو المشهور[٢]، وعشر سنين في المدينة وهو المتفق عليه[٣].

إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن الطبيعية، حيث تلقى النبي ﷺ كلام الله (القرآن) بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، ومن ثم فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني أو الاستشعار الداخلي، بل إن الوحي يتم من خارج الذات المحمدية المتلقية له، دون أن يكون لرسول الله أي أثر في الصياغة والمعنى، بل تنحصر مهمته بحفظ الوحي وتبلغيه. وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوب النبي كما يظهر في أحاديثه المحفوظة. وهو أسلوب مغاير تمامًا لأسلوب القرآن، إن محاولة البعض تعليل اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب الحديث عن طريق علم النفس التحليلي بدعوى أن

(١) صحيح البخاري ١/ ٢، ٣ وصحيح مسلم ٤/ ١٨١٦، ١٨١٧ وقد ورد في مرسل عبيد بن عمير ومرسل الزهري أنه جاءه في المنام أولاً ثم باليقظة (السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٨٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ٨٩) وهذه المراسيل واهية لا يثبت بها الخبر.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٨ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٢٥، ١٨٢٦ كلاهما عن ابن عباس ومستدرك الحاكم ٣/ ٢ بإسناده إلى علي رضي الله عنه وصححه ووافقه الذهبي، ووردت روايات صحيحة أخرى عن ابن عباس أنه أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وورد خمس عشرة سنة (صحيح البخاري ٤/ ١٦٤، ١٦٥ وصحيح مسلم ٤/ ١٨٢٤، ١٨٢٥، ١٨٢٧) فإذا لاحظنا أن فتور الوحي دام قرابة ثلاث سنوات فربما يكون ابن عباس حذفها عندما قال عشر سنين. وقد رجح ابن حجر رواية ابن عباس أنها ثلاث عشرة سنة على روايته خمس عشرة سنة وقال: «إن إقامته بمكة ثلاث عشرة» هو قول الجمهور وهو المشهور، ومن روى عنه ما يخالف ذلك جاء عنه المشهور، وهم ابن عباس وعائشة وأنس، ثم نقل الرأي المشهور عن معاوية، وبه جزم ابن المسيب والشعبي ومجاهد، وقال أحمد: وهو الثبت عندنا. (فتح الباري ٨/ ١٥١).

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/ ٨٩.

القرآن صدر عن منطقة اللاشعور في حالة ضعف الوعي الخارجي ونشاط العقل الباطن، وأن الحديث صدر عن العقل الظاهر[١] تبدو متهافتة إذا تأملنا فيما صدر عن الحكماء والشعراء والبلغاء من آثار أدبية تتضح فيها الوحدة الأسلوبية برغم مرورهم بتجارب تأملية واستبطانية، وصار مبدأ الأسلوب أساسًا لتحديد السرقات الأدبية إلى جانب سرقة المعاني، ولا شك أن الهروب من الاعتراف بالوحي هو الدافع إلى التفسيرات العديدة المتناقضة لظاهرة الوحي، والتي قدمها المستشرقون وأتباعهم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

إن ظاهرة الوحي ظلت تواجه المستشرقين فلا يتمكنون من إعطاء تفسير لها، بل يقعون في الحيرة والتناقض ويلجؤون إلى الاتهامات القديمة التي سبق أن قالها العرب الجاهليون في مكة عند نزول الإسلام مما رده القرآن. قال تعالى: يحكي تلك الاتهامات ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ وقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾.

وفي القرن العشرين يقول المستشرقون: إن الرسول ﷺ تعلم من ورقة[٢] بن نوفل، ومرة يقولون من بحيرا الراهب، وأحيانًا يرددون أنه تعلم من يهود مكة!! ونحن نعلم أن مكة لم يكن فيها يهود، وأن لقاءه ببحيرا - لو ثبت - لا يعدو الساعة أو الساعتين وهو غلام في الثانية عشرة من عمره!! وأن التوراة والإنجيل لم يترجما إلى العربية إلا بعد قرون من عمر الرسالة،

(١) راجع كتاب (محمد في مكة) لمونتكمري واط.

(٢) يقول مونتكمري واط في كتابه محمد في مكة ٩٣. «من الأفضل الافتراض بأن محمدًا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة، وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة بأفكار ورقة، وهذا يعود بنا إلى طرح مشكلة العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له» مع العلم أن كتب السيرة لم تثبت سوى لقاء واحد مع ورقة.!!

ولو كانا قد ترجما فإن أميته تحول دون إفادته منهما[١]. نعم يوجد ثمة تشابه بين القصص الديني في القرآن وما ورد في التوراة (وشرحه التلمود) والإنجيل، وهو تشابه مرجعه وحدة المصدر[٢] الإلهي. كما أن ثمة اختلافًا جوهريًا في التصور النهائي للأنبياء وتنزيههم في أعمالهم وخصائصهم بين القرآن والكتب المنزلة السابقة عليه، وهو اختلاف يرجع إلى ما تعرضت له تلك الكتب من تحريف وتبديل يجعلها لا تمثل بصدق (كلام الله). ولكن الأهواء دفعت بعض الدارسين إلى القول بأن القرآن اقتبس تلك القصص من التوراة والإنجيل مغفلين عمدًا حقيقة الاختلاف الجوهري بين القرآن وغيره.

لقد بين كاتبان نصرانيان هما سال sale وتايلور أن الرسول ﷺ لم يجد نموذجًا أخلاقيًا ودينيًا لينقله أو يحتذيه في الإسلام، بسبب انحراف أتباع الديانات القديمة وانحطاط تصوراتهم بل وتحريف أصولهم الدينية، يقول سال: «إذا قرأنا التأريخ الكنسي بعناية، فسنرى أن العالم المسيحي قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته، بسبب أطماع رجال الدين والانشقاق بينهم والخلافات على أتفه المسائل، والمشاجرات التي لا تنتهي، والتي كان الانقسام يتزايد بشأنها. وكان المسيحيون في تحفزهم لإرضاء شهواتهم واستخدام كل أنواع الخبث والحقد والقسوة قد انتهوا تقريبا إلى طرد المسيحية ذاتها من الوجود، بسبب جدالهم المستمر حول طريقة فهمها، وفي هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت بل وثبتت أغلب أنواع الخرافات والفساد»[٣].

---

(١) محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ص١٤١ وحاشية رقم (١).

(٢) راجع كتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي.

(٣) محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم ص ١٣٦ نقلا عن مؤلف سال (ملاحظات تاريخية ونقدية عن الإسلام) ص٦٨ - ٧١.

أما تايلور فيقول: «إن ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة وطقوسًا دينية منحلة وصبيانية»[١].

ثم إن القرآن قد فند كثيرًا من العقائد والتقاليد اليهودية والنصرانية فكيف ينقض النموذج الذي احتذاه - على حد مزاعمهم -[٢].

مرحلة الدعوة السرية:

بدأت الدعوة الإسلامية بمكة سرية، ويحدد ابن إسحاق والواقدي هذه المرحلة بثلاث سنين[٣]، وحددها البلاذري بأربع سنين[٤].

وكان المجتمع المكي - شأن سائر الجزيرة العربية - يعتمد في تنظيمه على القبيلة، فهي الوحدة الاجتماعية والسياسية، ويعتمد في تلاحمه على العصبية القبلية فهي التي تشد أبناءها إلى بعضهم. ولما كانت مكة تخضع لقبيلة واحدة هي قريش بفروعها الأربعة عشر، فقد بدت هذه الفروع (العشائر) وحدات ذات كيان خاص، لكنها متحالفة داخل الكيان العام لقريش، وكان المتوقع أن ينتشر الإسلام في العشيرة التي ينتسب إليها الرسول ثم في قريش التي ينتمي إليها أخيرًا. ولكن يلاحظ أن انتشار الإسلام لم يرتبط بالعصبية القبلية، ولا العشائرية، فلم يكن نصيبه من أفراد

(١) المصدر السابق ١٣٧ نقلاً عن مؤلف تايلور (المسيحية القديمة) ١/ ٢٦٦.
(٢) راجع الفصل النفيس (البحث عن مصدر القرآن في الفترة المكية) ضمن كتاب (مدخل إلى القرآن الكريم) لمحمد عبد الله دراز.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٢ دون إسناد، وطبقات ابن سعد ١/ ١٩٩ من طريق الواقدي وهو متروك وشيخه مجهول أيضًا.
(٤) أنساب الأشراف ١/ ١١٦.

بني هاشم أعظم من بقية عشائر قريش، وإن كان بنو هاشم يتعاطفون معه أكثر من سواهم، لكن هذا التعاطف لم يجرهم إلى الدخول في الإسلام، بل مات كبيرهم وأقوى مناصريهم للرسول ﷺ وهو أبو طالب دون أن يدخل في الإسلام.

لقد انتشر الإسلام في المرحلة المكية في سائر فروع قريش بصورة متوازنة، دون أن يكون لإحدى عشائرها ثقل كبير في الدعوة الجديدة، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك.

وهي إذا أفقدت الإسلام الاستفادة الكاملة من التكوين القبلي والعصبية القبلية لحماية الدعوة الجديدة ونشرها، فإنها بنفس الوقت لم تؤلب عليه العشائر الأخرى بحجة أن الدعوة تحقق مصالح العشيرة التي انتمت إليها وتعلي من قدرها على حساب العشائر الأخرى.

ولعل هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أعان في انتشار الإسلام في العشائر القرشية العديدة دون تحفظات متصلة بالعصبية فأبو بكر الصديق من «تيم» وعثمان بن عفان من «بني أمية» والزبير بن العوام من «بني أسد» ومصعب بن عمير من «بني عبدالدار» وعلي بن أبي طالب «من بني هاشم» وعمر بن الخطاب من «بني عدي» وعبدالرحمن بن عوف من «بني زهرة» وعثمان بن مظعون من «بني جمح»، بل إن عددًا من المسلمين في هذه المرحلة لم يكونوا من قريش: فعبدالله بن مسعود من هذيل، وعتبة بن غزوان من مازن، وعبدالله بن قيس من الأشعريين، وعمار بن ياسر من عنس من مذحج، وعمرو بن عبسة من سليم، وعامر بن ربيعة من عنز بن وائل، وصهيب النمري من بني النمر بن قاسط. لقد كان واضحًا منذ الوهلة الأولى أن الإسلام ليس خاصًا بمكة وقريش.

المسلمون الأوائل:

يدل حديث بدء الوحي على أن خديجة رضي الله عنها كانت أول من عرف خبر النبوة ونزول الوحي، وأنها صدقت الرسول وآزرته وثبتته وخففت عنه. فلا غرابة أن تكون أول من آمن كما يقول الزهري وابن إسحاق[١]. وقد أسلم علي ابن أبي طالب بعد خديجة في هذا الوقت المبكر، فقد كان في حجر النبي ﷺ قبل[٢] الإسلام - معونة من رسول الله لأبي طالب وردًا لجميله، فقد كان قليل المال كثير العيال - فكان أول الذكور إسلاما[٣]. **وقوَّى الحافظ ابن حجر أن يكون عمر علي رضي الله عنه حين المبعث عشر سنين**[٤].

وقد كثرت الروايات الواهية والموضوعة، حول تحديد يوم إسلامه وصلاته بيوم الثلاثاء بعد الرسول ﷺ وخديجة بيوم واحد، وأنه صلى قبل المسلمين الآخرين سبع سنين[٥]!! وفضائل علي رضي الله عنه الثابتة كثيرة، فلا يحتاج إلى مثل هذا الكذب والمغالاة.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٤ من دون إسناد ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٧٤ من مرسل الزهري ومستدرك الحاكم ٣/ ١٨٤ بسند ضعيف من حديث حذيفة بن اليمان.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٧٣ بسند حسن من حديث ابن عباس وطبقات ابن سعد ٣/ ٢١ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٢ وسيرة ابن هشام ١/ ٢٢٨ - ٢٢٩ من دون إسناد، وعن كفالة النبي عليا بإسناد إلى مجاهد بن جبر فهو مرسل بالإضافة إلى عنعنة عبد الله بن أبي نجيح - رواية عن مجاهد - وهو مدلس (تعريف أهل التقديس ٣٩).

(٣) الترمذي: الجامع ٥/ ٦٤٢ بإسناد صحيح، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٣/ ١٣٦) وفي إسناده أبو حمزة رجل من الأنصار، وهو طلحة بن يزيد الأيلي. (تقريب التهذيب ٢٨٣).

(٤) فتح الباري ٧/ ١٧٤.

(٥) مسند أحمد ١/ ٩٩ وكشف الأستار ٣/ ١٨٢ وفي إسناده يحيى بن سلمة بن كهيل شيعي متروك. (تقريب التهذيب ٥٩١). وسنن الترمذي ٥/ ٦٤٠ وفي إسناده مسلم بن كيسان مجمع على ضعفه ومسند أبي يعلى ١/ ٣٤٨ وفيه مسلم بن كيسان أيضًا وحبَّة بن جوين وسليمان بن قرم وهم ضعفاء أيضًا. وقد أورد الإمام أحمد رؤية الصحابي عفيف الكندي لصلاة النبي وخديجة وعلي في مكان واحد، وأنهما أول المسلمين، (مسند أحمد ١/ ٢٠٩ - ٢١٠ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٨٣ وصححه وأقره الذهبي) لكن في إسناده إسماعيل بن إياس وهاه ووهى أباه البخاري (التاريخ الكبير ١/ ٣٤٥، ٤٤١).

وأما أبو بكر رضي الله عنه فقد استنبط ابن كثير من حديث صحيح فيه «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله» إنه أول الناس إسلامًا(١).

وقد أسلم أهل بيت أبي بكر بإسلامه، قالت عائشة رضي الله عنها: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين»(٢).

وذهب الزهري إلى أن أول الناس إسلامًا هو زيد بن حارثة(٣) - مولى رسول الله - ونظرًا لأقوال الزهري في أن أول من أسلم خديجة، فلعله عنى أن زيدًا أول من أسلم من الرجال، ويبدو أن الواقدي أول من حاول التوفيق بين قولي الزهري(٤).

وقد تتالت محاولات التوفيق والجمع بعده بين الروايات التي تحدد أسماء أول الناس إسلامًا.

وتدل رواية صحيحة على إسلام سعد بن أبي وقاص، وأنه بقي أسبوعًا ثالث مسلم ثم أسلم آخرون(٥).

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري ٧/ ١٨) وانظر السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤٣٤.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٤/ ٤٧٥).

(٣) عبد الرزاق: المصنف ٥/ ٣٢٥ من مرسل الزهري. وتشير رواية من مرسل أبي فزارة راشد ابن كيسان العبسي، وهو ثقة إلى شراء الرسول لزيد بأموال خديجة، وإلى عتقه له بعد أن وهبته له، وهو مخالف لرواية ابن إسحاق من كون حكيم بن حزام اشتراه، ثم أعطاه لخديجة التي وهبته للنبي (مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٢١). وتشير رواية ضعيفة إلى محاولة أخيه جبلة بن حارثة استرداده، لكن زيدًا أبى (سنن الترمذي ٥/ ٦٧٦ وفيه محمد بن عمر الرومي ليـن، وقد تابعه عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير الموصلي في مستدرك الحاكم (٣/ ٢١٤)، وقد تفرد ابن حبان بتوثيق عبد الغفار (الثقات ٨/ ٤٢١) فيقوى الطريقان إلى الحسن لغيره.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٣١٦.

(٥) صحيح البخاري (الفتح ٧/ ٨٣، ١٧٠) وانظر فضائل الصحابة لأحمد ٢/ ٧٤٩.

وقد نزل القرآن في خبر إسلامه كما أخبر عن نفسه، قال: «حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصَّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا ثم أوجروها»[1].

والحادثة تدل على صلابة موقف المؤمنين الأوائل أمام الفتن المتنوعة التي تعرضوا لها، كما تدل على أنماط المواجهة التي تجمع بين التأثير العاطفي والضغط النفسي حينا وبين استخدام القهر والقوة أحيانا أخرى.

ولقد أسلم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وقت مبكر ولكن لم يصح قوله عن نفسه: إنه الرابع في الإسلام[2]. وأسلم طلحة بن عبيد الله، لكن تفاصيل خبر إسلامه لا تصح[3].

وأسلم الزبير بن العوام، وتوحي روايات ابنه الصغير عروة - الذي لم يدرك الرواية عن أبيه مما جعل مروياته عنه مرسلة - بأن إسلامه تم وهو

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٨٥ - ١٨٧. وقد ساق الرواية بمعناها الواحدي في أسباب النزول ٣٩٥ بإسناد ضعيف فيه أحمد بن أيوب بن راشد مقبول، تفرد بتوثيقه ابن حبان (تهذيب ١/ ١٧ وتقريب ٧٧) وساقها الواقدي بمعناها كما في طبقات ابن سعد (٤/ ١٢٣ - ١٢٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥٣ من طريق ابن لهيعة، وقد اختلط بعد احتراق كتبه، وليس من رواية العبادلة عنه، وهي أعدل الروايات.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٤ - ٢١٥ من طريق الواقدي وهو متروك.

صغير ابن ثماني سنين[١]، لكن حفيده هشام بن عروة يقول: إنه كان ابن ست عشرة سنة[٢].

وتشير رواية أبي الأسود إلى تعذيب عم الزبير له بالنار بسبب إسلامه[٣].

ولعل مصدر هذا الخبر عائلي؛ لأن أبا الأسود أحد رواة مغازي عروة عنه، وقد حددت رواية الواقدي سنه - حين أسلم - بسبع عشرة سنة[٤].

وممن بكر في الدخول في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص، لكن تفاصيل قصة إسلامه لم تثبت، حيث تفرد بها الواقدي[٥]. وعبدالله بن مسعود حيث حكى خبر إسلامه قال: «كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط بمكة، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ وأبو بكر وقد فرا من المشركين، فقال: يا غلام هل عندك لبن تسقينا؟ قلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما. قالا: فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد؟ قلت: نعم فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا، فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة، فحلب ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني. ثم قال للضرع: اقلص، فقلص.

فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ، قلت: علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن -، فقال رسول الله ﷺ: «**إنك غلام مُعَلَّم. فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد**[٦]».

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير ١/ ٨١ - ٨٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٥٢، وهو مرسل رجاله رجال الصحيح.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٢، وهو مرسل رجاله رجال الصحيح.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٥١.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٣٩، والواقدي متروك، لكن مثل هذا الخبر مما يتساهل فيه.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٤ - ٩٥ وانظر مستدرك الحاكم ٣/ ٢٤٩ وفي إسناده انقطاع، فإن سعيد ابن عمرو بن سعيد لم يسمع من عمه خالد بن سعيد.

(٦) أحمد: المسند ١/ ٣٧٩ وابن أبي شيبة: (المصنف ١١/ ٥١٠ وابن سعد الطبقات ٣/ ١٥٠ - ١٥١ والفسوي: المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٣٧، وإسناد الحديث حسن، وقد صحح الذهبي إسناده في سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٥، وكذلك فعل الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧، ولكن في الإسناد عاصم بن أبي النجود. قال عنه ابن حجر: «صدوق له أوهام، وحديثه في الصحيحين مقرون» (تقريب ٢٨٥) وقال عنه الذهبي: «هو حسن الحديث» (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٧).

وقد ذكرت رواية الواقدي: أن عبدالله بن مسعود أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم[١]. وذكرت رواية ضعيفة أخرى أنه كان سادس مسلم[٢].

ولا شك في تقدم إسلام خباب بن الأرت ولكن لم يثبت، أنه سادس ستة في الإسلام[٣]، كذلك تقدم إسلام بلال الحبشي[٤] وكان رقيقًا ثم اشتراه أبو بكر وأعتقه[٥].

وقد ثبت أن عمار بن ياسر أسلم مبكرًا، فقد قال عن نفسه: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»[٦]. وقال ابن مسعود: «أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد»[٧] وكان عمرو بن عبسة السلمي يرى أنه رابع أربعة هم أول المسلمين. قال: فلقد رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١٥١.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١١٤ - ١١٥ وكشف الأستار للهيثمي ٣/ ٢٤٨ والمعجم الكبير للطبراني ٩/ ٥٨ ومستدرك الحاكم ٣/ ٣١٣ وصحح إسناده وأقره الذهبي وفيه علل تتمثل في تدليس الأعمش وقد عنعن، وفي كون راويه عبد الرحمن بن عبد الله لم يسمع من أبيه إلا شيئًا يسيرًا، وهو مدلس، ولم يصرح بالتحديث.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٤٩ بإسناد صحيح إلى مجاهد مرسلًا، و ١٣/ ٤٩ وهو مرسل وراويه كردوس مقبول حين يتابع (تقريب التهذيب ٤٦١)، وقد انفرد بتوثيقه ابن حبان (الثقات ٥/ ٣٤٢)، وهذه الرواية المرسلة انفردت بالقول بأنه سادس ستة.

(٤) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ١٨٢، ٢٣١ بأسانيد صحيحة وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٣٣ ومستدرك الحاكم ٣/ ٢٨٤ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٩٩).

(٦) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٨، ١٧٠) وقال ابن حجر: أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة، وأبو فكيهة ويحتمل أن الخامس هو شقران، وأما المرأتان فخديجة وأم أيمن - أو سمية -.

(٧) مسند أحمد ١/ ٤٠٤ بإسناد حسن.

(٨) مسند أحمد ٤/ ١١٢ وطبقات ابن سعد ٤/ ٢١٥. وتاريخ الطبري ٢/ ٣١٥ بإسناد حسن ومستدرك الحاكم ٣/ ٦٥، ٦٦ وصحح إسناده ٢٨٥.

وأما عن بواعث إسلامه فقد قال: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله. فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأنه يوحد الله لا يشرك به شيء. قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد. قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به. فقلت: إني متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس!! ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب، من أهل المدينة، فقلت: ما فعل الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه ...»[1].

ويبدو أن رسول الله ﷺ لم يخبره بأسماء سائر من أسلم، وإنما سمى أبا بكر وبلالاً فقط حرصًا على سلامة من أسلم من الأذى، وربما لأنه إنما أسلم بعد إجابة سؤاله عمن أسلم يومئذ، وتعبير عمرو بن عبسة: «فلقد

(١) صحيح مسلم ١/ ٥٩٦ وقارن برواية الآجري: الشريعة ٤٤٥ - ٤٤٦ بإسناد حسن، فيه إسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن الشاميين، كما هو الحال في هذا السند، وفيه عمرو ابن عبد الله السيباني مقبول فقد توبع هنا من قبل أبي سلام الدمشقي. وهي تدل على أن رجلا من أهل الكتاب - في الجاهلية - أرشده إلى اتباع النبي الذي سيظهر بمكة.

رأيتني إذ ذاك ربع الإسلام» إنما هو بحسب ما بدا له. وإلا فقد كان عدد المسلمين أكثر من ذلك في المرحلة التي أظهرت فيها قريش جرأتها على الإسلام وأذاها للمسلمين، كما يدل قول الرسول: ألا ترى حالي وحال الناس!!

ومما يدل على أن المسلمين كانوا متكتمين في أمر إسلامهم: أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان يرى نفسه رابع الإسلام أيضًا[1]. وقد علل بعض الرواة تعارض كلام أبي ذر مع كلام عمرو بن عبسة، فقال: «كلاهما لا يدري متى أسلم الآخر»[2]. مما يشير إلى أن مبدأ سرية الدعوة كان يراعى في بعض الحالات حتى مرحلة الدعوة الجهرية، تبعًا لما تقتضيه مصلحة الدعوة الناشئة.

إسلام الجن:

بعث محمد ﷺ لعالمي الإنس والجن، والجن كائنات مستترة عن أنظار البشر في الأصل، وإن كانت لهم قدرة على التجسد والظهور بأشكال مختلفة.

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير ٢/ ١٥٥ والحاكم: المستدرك ٣/ ٣٤٢ وسكت عنه، ولعل كلام الحاكم سقط من المطبوع، فإن الذهبي ذكر تصحيحه على شرط مسلم، ولا يُسلَّم له، فإن الإمام مسلمًا لم يرو لمالك بن مرثد ولا لأبيه، ومرثد فيه جهالة كما قال الذهبي (ميزان الاعتدال ٤/ ٨٧) وقال عنه ابن حجر: مقبول، أي حيث يتابع، وقد تابعه جبير بن نفير عن أبي ذر (الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٣١٥ بإسناد فيه صدقة بن عبد الله السمين وهو ضعيف (تقريب ٢٧٥)، وقد تساهل الحاكم فصحح سنده، وأقره الذهبي (المستدرك ٣/ ٣٤١)، وإنما هو حسن لغيره.

(٢) الطبري: تاريخ ٢/ ٣١٥ بإسناد ضعيف إلى جبير بن نفير. ويؤيد ابن كثير وابن حجر أن سرية الدعوة هي السبب في تعارض دعاوي السبق إلى الإسلام، إذ يخفى عليهم من سبقهم إلى الإسلام (السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤٤٣ وفتح الباري لابن حجر ٧/ ٨٤).

ويدل القرآن والسنة على أن نفرا من الجن، رأوا رسول الله بنخلة عامدًا إلى عكاظ - وقد حيل بين الجن وبين استراق السمع من السماء، فكانوا يبحثون في أرجاء الأرض عن السبب - فاستمعوا إليه وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فآمنوا به ورجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن[1]. ولم ير رسول الله الجن في هذه المرة، ولم يقرأ عليهم، وإنما آذنته بهم شجرة[2]. ثم أوحي إليه خبرهم[3]. وقد حددت رواية مرسلة عدد الجن، وأنهم كانوا تسعة[4]. ولم تثبت أنهم من جن نصيبين[5].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٢/ ٢٥٣، ٨/ ٦٦٩ - ٦٧٠) وصحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٦٧ - ١٦٨. وسنن الترمذي ٥/ ٤٢٦ - ٤٢٧ وقال: هذا الحديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٧١) وصحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٧١).

(٣) صحيح البخاري (الفتح ٢/ ٢٥٣) وصحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٦٧ - ١٦٨ وأما ما في مسند أحمد ١/ ١٦٧ من كونهم استمعوا إليه في صلاة العشاء، ففي إسناده انقطاع، لأن عكرمة لم يسمع الزبير بن العوام كما قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣/ ٢١ - ٢٢)، ولو ثبت فيمكن الجمع بينه وبين رواية الصحيح بأنه استمعوا إليه مرتين.

(٤) أخرجه الطبري من رواية محمد بن بشار والبزار من رواية أحمد بن إسحاق الأهوازي، كلاهما عن أبي أحمد الزبيري مرسلاً، وانفرد بوصله (عن عبد الله بن مسعود) أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، كما في الإصابة (مع الاستيعاب) ١/ ٥٣٨. وتابع أبا أحمد الزبيري كل من يحيى القطان ووكيع ويحيى بن اليمان، فرووه مرسلاً (تفسير الطبري ٢٦/ ٣١، ٣٣ ودلائل النبوة ٢/ ٤٦٤).

(٥) أقوى ما يُعَوَّل عليه هو حديث جابر الجعفي وهو ضعيف (جامع البيان للطبري ٢٦/ ٣٣ ومجمع الزوائد ٧/ ١٠٦)، وبقية الأحاديث في ذلك واهية (الطبري: جامع البيان٢٦/ ٣٠ - ٣١، ٣٣ والطبراني: المعجم الكبير ١١/ ٢٥٦ وفي سندهما النضر أبو عمر متروك (مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦) والمعجم الأوسط ١/ ٢أ وفي إسناده عفير بن معدان متروك (مجمع الزوائد ٧/ ١٠٦).

وبعد هذه الحادثة دعا الجن رسول الله مرة - وهو معسكر بأصحابه خارج مكة - فذهب معهم وقرأ عليهم القرآن، ثم أرى أصحابه آثارهم وآثار نيرانهم[١]. وقد بين الشعبي أنهم وفد جن نصيبين[٢].

بدء الدعوة الجهرية:

انقضت مرحلة الدعوة السرية بنزول الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فخرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبدالمطلب، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإني نذير لكم بن يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تبا لك، أما جمعتنا إلا لهذا!! ثم قام.

فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٦٨ - ١٧٠.

(٢) المصدر السابق من مرسل الشعبي، ويؤيده ما في صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٧١) من حديث أبي هريرة.

(٣) متفق عليه (فتح الباري ٨/ ٧٣٧) وصحيح مسلم من حديث ابن عباس ١/ ١٩٤، وقارن بروايتي أبي هريرة وعائشة ١٩٢ وهي مراسيل صحابة، لأن الثلاثة لم يشهدوا الحادث (فتح الباري ٨/ ٥٠٢) وحديث أبي هريرة مكمل لحديث ابن عباس في الخطبة، حيث ساقها ابن عباس مقتصرا على بعضها، وفيها يتكرر قوله «أنقذوا أنفسكم من النار» واقتصر أبو هريرة على بعضها الآخر (فتح الباري ٥/ ٣٨٢ وصحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٨١)، وقارن برواية أبي موسى الأشعري في سنن الترمذي ٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠، وعده الترمذي غريبًا من حديث أبي موسى، وأفاد أنه روي مرسلاً. وهكذا أخرجه مرسلا الطبري في جامع البيان ١٩/ ١٢٠، وقارن برواية أبي يعلى الموصلي مسنده ٢/ ٤٠ - ٤١ بإسناد ضعيف فيه عبدالجبار بن عمر الأيلي ضعيف وعبد الله بن عطاء ضعيف (راجع عنهما تقريب التهذيب ٣٣٢ وتهذيب التهذيب ٦/ ١٠٣ - ١٠٤).

وقد ذكرت روايات واهية أن رسول الله ﷺ جمع ثلاثين من أهل بيته على أثر نزول ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فأكلوا وشربوا - وبعضها يشير إلى ظهور معجزة كفاية الطعام القليل للعدد الكبير - ثم سألهم: من يضمن عني دَيني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، وخليفتي في أهلي؟ فسكتوا. فقال علي: أنا[1]. وفضائل علي رضي الله عنه كثيرة، لكن هذه الرواية منكرة، وسائر شواهدها واهية، حبكها الكاذبون، وتخيلها القصاصون من أصحاب الأهواء. ويجعل الطبري نزول الآية ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إيذانًا بانتهاء مرحلة السرية، والآية مكية، وفيها ما يفيد الأمر بالجهر بالقرآن، ويحتمل أن تكون نزلت لتنهي مرحلة السرية، ولكن يصعب الجزم بذلك لضعف إسناد الرواية[2].

---

(١) مسند أحمد ١/ ١١١ وكشف الأستار ٣/ ١٨٣ بإسناد ضعيف، ففي إسنادهما عباد بن عبدالله الأسدي ضعيف، وفيه شريك سيئ الحفظ، وفيه عنعنة الأعمش وهو مدلس. وانظر شواهده التالفة عند ابن إسحاق: (السير والمغازي ١٤٥ - ١٤٦) وفي سنده عبد الغفار بن القاسم أبو مريم متروك كذاب شيعي (الطبري: تفسير ١٩/ ٧٤ - ٧٥ وابن كثير: التفسير ٣/ ٣٥١) وراجع ترجمته في (الضعفاء للعقيلي ٣٠/ ١٠١) وأبهمه ابن إسحاق في سنده، وكشف عنه أحمد بن عبد الجبار العطاري راوية السيرة (البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ١٧٨ - ١٨٠) وابن سعد: طبقات ١/ ١٨٧ وفي إسناده الواقدي ويزيد بن عياض متروكان. وابن أبي حاتم في تفسيره بإسناد فيه عبد الله بن عبد القدوس، رافضي ضعيف (ابن كثير: تفسير ٣/ ٣٥١ - ٣٥٢ وابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٨١) والنسائي: خصائص علي رقم ٦٦ والطبري: تاريخ ٢/ ٣٢١ كلاهما بإسناد ضعيف فيه ربيعة بن ناجد الأزدي الكوفي، قال عنه الذهبي: «لا يكاد يعرف، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه: «عليٌّ أخي ووارثي» (ميزان الاعتدال ٢/ ٤٥) وأما توثيق الحافظ ابن حجر له في التقريب ٢٠٨ فتابع فيه ابن حبان والعجلي، وهما متساهلان، (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٦٣).

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣١٨ وتفسير الطبري ١٤/ ٦٨، وفي سنده موسى بن عبيدة ضعيف، كما في التقريب.

«ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول دعوته العلنية بإنذار عشيرته الأقربين، إذ إن مكة بلد توغلت فيه الروح القبلية، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يعين على نصرته وتأييده وحمايته، كما أن القيام بالدعوة في مكة لابد أن يكون له أثر خاص لما لهذا البلد من مركز ديني خطير، فجلبها إلى حظيرة الإسلام لابد وأن يكون له وقع كبير على بقية القبائل .. على أن هذا لا يعني أن رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودة بقريش؛ لأن الإسلام كما يتجلى من القرآن اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية، والواقع أن كثيرًا من الآيات المكية كانت تنص على أن القرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأمر الذي يدل على أن فكرة الدعوة العالمية كانت قائمة منذ هذا الوقت المبكر»[١].

وقد أسلم في مرحلة الدعوة العلنية أبو ذر الغفاري، فقد استدل ابن حجر من قصة إسلام أبي ذر ورؤية علي له بأنها وقعت بعد المبعث بأكثر من سنتين، بحيث يتهيأ لعلي أن يستقل بمخاطبة الغريب ويضيفه[٢].

وقد وردت قصة إسلام أبي ذر من حديث صحابيين هما عبدالله بن عباس في صحيحي البخاري ومسلم، وعبدالله بن الصامت في صحيح مسلم وحده، وبينهما تعارض، ويرى القرطبي أن الجمع بينهما فيه تكلف شديد، في حين يرى الحافظ ابن حجر أن بينهما مغايرة كثيرة، ولكن الجمع بينهما ممكن[٣].

وعلى أي حال، فالقاعدة أن الأصح ما اتفق عليه البخاري ومسلم لذلك يلزم عند التعارض اعتماد رواية ابن عباس، ويؤخذ من الروايات

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ٦٦.
(٢) فتح الباري ٧/ ١٧٤.
(٣) فتح الباري ٧/ ١٧٤، ١٧٥.

الصحيحة أن أبا ذر رضي الله عنه كان منكرًا لحال الجاهلية، يأبى عبادة الأصنام وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويبدو أنه كان متأثرًا بالأحناف، ولما سمع بالنبي ﷺ قدم إلى مكة وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادره صباحا إلى المسجد الحرام فمكث حتى أمسى، فرآه علي فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك في الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له علي: «فإنه حق وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه وقابل الرسول ﷺ واستمع إلى قوله فأسلم، فقال له النبي: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه»، فأتى العباس بن عبدالمطلب فحذرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم التي تمر بديارهم إلى الشام. فأنقذه منهم[1].

وهذه الرواية تفيد وجود بعض الأحناف في البوادي، ولعل ما بدا من حذر علي رضي الله عنه وما وقع من ضرب قريش لأبي ذر ومن وصف أنيس أخي أبي ذر الحالة في مكة عندما دخلها قبيل دخول أبي ذر، فقال لأخيه محذرًا: «وكن

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٧٣) وصحيح مسلم ٤/ ١٩٢٣ - ١٩٢٥)، وأما رواية عبد الله بن الصامت ففي صحيح مسلم (٤/ ١٩١٩ - ١٩٢٣) وتذهب رواية ابن الصامت إلى أن اللقاء الأول بين أبي ذر والرسول ﷺ تم قرب الكعبة المشرفة بحضور أبي بكر، ولا تذكر عليًا.

على حذر من أهل مكة، فإنهم قد شنفوا له وتجهموا»[١] لعل في ذلك كله ما يؤكد أن إسلامه جرى بعد إعلان الدعوة وانتهاء المرحلة السرية.

لقد عاد أبو ذر إلى غفار فأسلم نصفهم، وأسلم النصف الثاني بعد الهجرة النبوية.

كذلك يظهر من سياق قصة إسلام ضماد - من أزد شنوءة - أنه تم بداية مرحلة الجهر بالدعوة، وبعد أن جاهر الرسول ﷺ بتسفيه عقائد المشركين، فردوا عليه بالدعاية الكاذبة واصفين إياه بالجنون، فلما قدم ضماد مكة وسمع سفهاء مكة يتهمون النبي بالجنون، وكان ضماد يرقي من مس الجنون ذهب إلى الرسول وعرض عليه أن يرقاه. فقال رسول الله: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد» فقال ضماد: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ثم أسلم وبايع عن نفسه وقومه[٢].

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٢٣ وشنفوا له أي أبغضوه، وقارن برواية الطبراني: المعجم الأوسط ١/ ١٥٦ أي بإسناد ضعيف فيه أبو طاهر مولى الحسن بن علي مجهول (الكنى للبخاري ٤٦ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٣٩٧ وابن حبان: الثقات ٥/ ٥٧٥ - ٥٧٦) والحاكم: المستدرك ٣/ ٣٣٩ - ٣٤١ وفي إسناده عباد بن الريان مجهول الحال (الأسماء والكنى للدولابي ٢/ ١٨). وأما الواقدي فقد خالف الروايات الصحيحة، فروى ما يشير إلى أن أبا ذر كان قاطع طريق، وأنه أسلم بعد أبي بكر بيوم أو يومين ثم ناقضها برواية تقول: إن أبا ذر كان متألها. فما أعجب ما يروي الواقدي!! (طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٥٩٣.

إن الكلمات النبوية تلمس شغاف قلوب البشر، وتزيل الحجب بينهم وبين حقيقة توحيد الألوهية، التي غابت عنهم آمادًا طويلة، فتنقلهم الكلمات بصدقها ومباشرتها وملامستها للفطرة إلى عالم الإسلام(١).

وهناك قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وكرامته، لكنها لم يثبت منها إلا أنه دعا رسول الله ﷺ للالتجاء إلى حصن دوس المنيع فأبى الرسول ذلك(٢). ولا بد أن الدعوة هذه جرت بعد اشتداد المقاومة القرشية.

وتشير رواية صحيحة: أن الطفيل دعا قومه إلى الإسلام، ولقي منهم صدودًا حتى طلب الطفيل من رسول الله أن يدعو عليهم، لكن الرسول دعا لهم بالهداية(٣). وكان الرسول آنئذ بالمدينة المنورة(٤).

أما عثمان بن مظعون فقد أسلم مبكرًا، لكن قصة إسلامه فيها ضعف(٥) وقد أسلم حمزة في وقت اشتدت فيه جرأة قريش على رسول الله، ولكن تفاصيل قصة إسلامه لم تثبت من طريق صحيحة(٦).

وممن كان يخفي إيمانه بمكة المقداد بن الأسود(٧).

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢١٦ - ٢١٧ بإسناد غير محفوظ وفيه انقطاع؛ لأن صالح بن كيسان لم يدرك الطفيل بن عمرو. والمحفوظ من رواية ابن إسحاق دون إسناد (سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢ - ٢٤). وقال ابن حجر: «ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ دون إسناد» (الإصابة ومعها الاستيعاب ٢/ ٢١٦ - ٢١٧).

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٠٩ وأخرجه أحمد كما في البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٩٨ وأبو يعلى: المسند ٤/ ١٢٦.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ١٠٧) ومسند أحمد ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢.

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٧٦.

(٥) مسند أحمد ١/ ٣١٨ وطبقات ابن سعد ١/ ١٧٤ - ١٧٥ بإسناد قال عنه ابن كثير: «إسناد جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل» (تفسير القرآن العظيم ٢ (٥٨٣) لكن فيه شهر ابن حوشب» صدوق كثير الإرسال والأوهام (تقريب التهذيب ٢٦٩) فإن زالت علة الإرسال بقيت علة كثرة الوهم، فالسند فيه ضعف لا محالة.

(٦) وردت رواية من مرسل محمد بن كعب القرظي عند الطبراني، وفي سندها إسماعيل الخفاف لم أقف له على ترجمة، ومفادها أن إسلام حمزة كان حمية لرسول الله ﷺ بعد أن أخبر بشتم أبي جهل للرسول، فمضى إلى الكعبة، حيث ضرب أبا جهل بقوسه فشجه، وأعلن إسلامه (المعجم الكبير ٣/ ١٥٢ - ١٥٣) وساق الواقدي بسنده مرسل محمد بن كعب القرظي والواقدي متروك (طبقات ابن سعد ٣/ ٩) وساق ابن إسحاق شاهدًا، وفي سنده مبهم مع الإرسال (السير والمغازي ١/ ٢٦٠ - ٢٦١)، وساق الطبراني له شاهدًا معضلا مع تدليس ابن إسحاق وقد عنعن (المعجم الكبير ٣/ ١٥٣ - ١٥٤)، وهكذا فإن الطرق بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها حديثيا.

(٧) صحيح البخاري (فتح الباري ١٢/ ١٨٧) معلقا، ووصله غيره (تعليق التعليق ٥/ ٢٤٢).

أذى المشركين للرسول ﷺ:

لا شك أن الاستجابة للأمر الإلهي بإعلان الدعوة اقتضى من المسلمين مواجهة المشركين بحقائق التوحيد وبفساد الشرك، مما جعل المشركين يلحقون الأذى بالرسول ﷺ وأصحابه، ففضلاً عن المعتقدات الباطلة التي عشعشت بعقولهم وتوارثوها خلفا عن سلف، فإنهم كانوا مدركين لجدواها في تحقيق مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، عندما تؤم القبائل العربية مكة حيث الأصنام الثلاثمائة والستون المحيطة بالكعبة، وينجم عن ذلك حركة بيع وشراء تحقق الأرباح الوفيرة للملأ - سادة مكة - كما تؤمن - عبر الإيلافات واحترام قريش دينيًا - التجارة المكية نحو اليمن والشام.

واتخذ الأذى صورًا شتى من السب العلني والضرر المادي، وقد وردت رواية من طرق تعتضد ببعضها لإثبات الحدث تاريخيًا، تقول: إنه لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] أقبلت أم جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب، وهي تنشد: مذمم أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فسألت أبا بكر إن كان النبي قد هجاها، فنفى ذلك[2].

---

(١) المسد: ١.

(٢) أخرجه الحميدي: المسند ١/ ١٥٣ - ١٥٤ وأبو يعلى: المسند ١/ ١٥٣ - ١٥٤ والحاكم: المستدرك ٢/ ٣٦١ وفي إسنادهم جميعا أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر، وقد عنعن عنها وهو مدلس، ولكن تابعه كثير بن عبيد عن أسماء - وهو مقبول إذا توبع - (البيهقي: دلائل ٢/ ١٩٦ فالحديث حسن لغيره، وتعضده شواهد من حديث ابن عباس (مسند أبي يعلى ١/ ٣٣ - ٣٤، وكشف الأستار ٣/ ٨٣ وفي إسنادهما عطاء ابن السائب اختلط، والراوي عنه عبد السلام بن حرب لم يصرح بأنه ممن روى عنه قبل الاختلاط. وله شاهد آخر من حديث زيد بن أرقم (مستدرك الحاكم ٢/ ٥٢٦ - ٥٢٧) وصحح إسناده مع أنه نبه على إرساله بسوقه من طريق يزيد بن زيد مرسلا، كذلك فإن إسحاق بن محمد الهاشمي شيخ الحاكم روى عنه الحاكم واتهمه (ميزان الاعتدال ١/ ١٩٩ ولسان الميزان ١/ ٣٧٤ - ٣٧٥).

وكان رسول الله ﷺ يفرح لأن المشركين يسبون مذممًا، يقول: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمد»[١].

ويحكي شاهد عيان هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه. وثبت النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام- وهي جويرية - فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه. وأقبلت عليهم تسبهم. فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش.

ثم تسمى: اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد، قال عبدالله بن مسعود: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[٢] - قليب بدر - ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»[٣]

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٥٥٤ - ٥٥٥).
(٢) القليب: البئر المفتوحة.
(٣) رواه البخاري (فتح الباري ١/ ٥٩٤) ومسلم الصحيح ٣/ ١٤١٨ - ١٤٢٠).

وقد بينت الروايات الصحيحة الأخرى أن الذي رمى الفرث عليه هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرضه هو أبو جهل[١]، وأن المشركين تأثروا لدعوة الرسول، وشق عليهم الأمر، لأنهم يرون أن الدعوة بمكة مستجابة[٢].

وقد ثبت أن النبي ﷺ دعا على قريش لما كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. فأخذتهم سنة، فحصَّت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود، وجعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانا من الجوع.

فأتى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. وقد أثبت القرآن هذا الحادث، فقال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله ﴿عَآئِدُونَ﴾[٣] فلما دعا ربه لهم آملاً توبتهم عادوا إلى كفرهم، ونسوا ما حكاه القرآن على لسانهم قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[٤].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٢٨٣، ٧/ ١٦٥) وصحيح مسلم ٣/ ١٤٢٠.

(٢) فتح الباري ١/ ٣٤٩ وقد زاد الأجلح بن عبد الله الكندي زيادة تفرد بها عن أبي إسحاق السبيعي، ولم ينقلها الحفاظ الكبار من تلاميذ أبي إسحاق ممن أتقنوا حديثه مثل شعبة وسفيان الثوري وإسرائيل وغيرهم. والأجلح صدوق عند ابن حجر (تقريب ٩٦)، وإنما يقبل النقاد زيادات الثقات، أما من الناحية التأريخية فيمكن التساهل في قبول هذه الرواية ما دامت لا تعارض روايات الثقات، ولأن المؤرخين يبنون على ما هو أدنى منها من الأخبار. وخلاصة الرواية: أن النبي ﷺ غادر المسجد بعد هذه الحادثة فلقيه أبو البختري، فسأله عن شأنه وألح عليه، فأخبره بما فعل أبو جهل، فمضى أبو البختري إلى أبي جهل فسأله عما فعل فاعترف فضربه بالسوط على وجهه، ووقع تلاح بين الرجال في المسجد (انظر كشف الأستار ٣/ ١٢٦ - ١٢٧ وفتح الباري ١/ ١٥٣ وعزاه لابن إسحاق في المغازي).

(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٥، ٦/ ١٩، ٣٢، ١٩، ٣٩، ٤٠، ٤١، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥٥ - ٢١٥٧.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ٣٩، ٤٠، وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥٧.

ويرى الحافظ الدمياطي: أن ابتداء دعاء النبي على قريش بذلك كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور[١]. ولكن من المهم أن نلاحظ أن دعوته عليهم كانت بسبب تكذيبهم إياه واستعصائهم على الإيمان، وليس بسبب إيذائهم له، فطالما احتمل أذاهم ولم يدع عليهم، بل دعا لهم بالهداية مما يصلح مثلاً أعلى في الصبر على الدعوة واحتمال المدعوين، وإن آذوا أصحاب الدعوة في أموالهم ومصالحهم وأنفسهم.

كان المشركون إذا سمعوا القرآن يجهر به الرسول وهو يصلي بأصحابه مستخفيًا يسبون القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فأمره الله تعالى أن يتوسط بالقراءة، بحيث يسمعه أتباعه دون المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[٢].

إن حرص الرسول ﷺ على الصلاة في المسجد الحرام أدى إلى الاحتكاك بالمشركين مرارًا، ولعله حرص على إظهار شعائر الإسلام، واحترام الكعبة، ولقاء الناس لأغراض الدعوة.

ومن هنا حاول المشركون تفويت هذه الأغراض عليه بمضايقته وإيذائه دون التورع عن ذلك، حتى وهو يسجد لله في صلاته!!

إن التهديد بالأذى والقتل على لسان زعماء المشركين لم يكن ينقطع في مرحلة الدعوة العلنية، بل كان يتصاعد ويشتد مع الأيام. فمرة «قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟

فقيل: نعم.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٥١١.

(٢) الآية من سورة الإسراء ١١٠ والحديث أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ١٩) وصحيح مسلم ١/ ٣٢٩.

فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب.

فأتى رسول الله ﷺ، وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟!!

فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحةً.

فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا[1].

لقد خلّد القرآن هذا الحَدَث، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[2]. ولعله في هذه المرة نفسها جاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ بعد أن نهر أبا جهل وغلظ له القول، فقال أبو جهل: إنك لتعلم بها نادٍ أكثر مني. فأنزل الله ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[3].

وقد سأل عورةُ بن الزبير عبدَ الله بن عمرو بن العاص: «أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١٥٤ من حديث أبي هريرة. وله شاهد من حديث ابن عباس مختصرًا أخرجه البخاري (فتح الباري ٨/ ٧٢٤). وأما تكملة الخبر في مستدرك الحاكم ٣/ ٣٢٥ ومسند البزار (كشف الأستار ٣/ ١٣٠) ففي سنده عبد الله بن أبي فروة متروك.

(٢) العلق الآيات ٦-١٣. وثمة احتمال أن يكون الخبر عن سبب نزول الآية من حديث أبي هريرة متصلًا (صحيح مسلم ٤/ ٢١٥٤ ومسند أحمد ٢/ ٣٧٠) ويقوى بشواهده كما في سنن الترمذي ٥/ ٤٤٣ - ٤٤٤ وتفسير الطبري ٣/ ٢٥٦.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٤٤٣ - ٤٤٤ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، والآيتان من سورة العلق ١٧-١٨. وانظر الألباني: السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٥ حيث قال: «إسناده صحيح على شرط مسلم»

قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1]. وكان عمرو بن العاص والد عبدالله شاهدَ عيانٍ للحادثة، والغالب أنه سمع الخبر منه[2].

وثمة رواية ضعيفة تفيد أن المشركين ضربوا الرسول ﷺ حتى خضبوه بالدماء، وأن جبريل واساهُ ببيان معجزة له، حيث دعا الرسول شجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه[3]. وكانت السخرية والاستهزاء من الرسول ﷺ ودعوته أحد الأساليب التي اتبعها المشركون في الحرب الكلامية لصرف الناس عن الدعوة، فكان أبو جهل يقول ساخرًا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!! فنزلت الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[4].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٥٥٤، ٧/ ٢٢، ١٦٥) وابن إسحاق: السير والمغازي ٢٢٩ - ٣٣٠ بإسناد حسن مطولًا. والآية ٢٨ من غافر.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٧ بإسناد حسن، وتفسير النسائي رقم ٤٧٧ وتغليق التعليق ٤/ ٨٧. وقارن برواية أنس بن مالك في مسند أبي يعلى ٦/ ٣٦٢ بإسناد فيه عنعنة الأعمش وهو مدلس. وبرواية أسماء بنت أبي بكر في مسند أبي يعلى ١/ ٥٢ بإسناد فيه أبو الزبير محمد ابن مسلم بن تدرس وهو مدلس وقد عنعنه، وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده (فتح الباري ٧/ ١٦٩).

(٣) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٣٦ ومسند أحمد ٣/ ١١٣ ومصنف ابن أبي شيبة ١١/ ٤٧٨ - ٤٧٩ وسنن الدارمي ١/ ١٢ - ١٣ بإسناد فيه عنعنة الأعمش وهو مدلس.

(٤) صحيح البخاري ٥/ ١٩٩ كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ وباب قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥. والآيتان: ٣٢، ٣٣ من سورة الأنفال.

كما وردت رواية في سبب نزول الآية ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[١] ومفادها أن الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبدالعُزَّى، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل، كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ فشكاهم إلى جبريل، فعاقبهم الله في أبدانهم عقوبات شديدة. لكن الرواية لم تثبت من طريق صحيحة[٢].

وثمة روايات ضعيفة أخرى تشير إلى تغليظ رسول الله الكلام على المشركين مثل تقبيح وجوههم وهم جمعٌ في المسجد الحرام[٣]، أو محاولتهم أذاه وامتناعه عليهم ووقوع العمى فيهم، ثم زواله عنهم بدعائه ﷺ[٤]، أو منع الله لهم من أذاه بحجب رؤيتهم[٥] له.

وقد ختم المشركون أذاهم لرسول الله ﷺ بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكية، مما كان سببًا مباشرًا للهجرة.

---

(١) الحجر ٩٥.

(٢) نعم صحح الذهبي الحديث (السيرة النبوية ١٤٣)، ولكنه لم يسق إلا أعلى السند وهو صحيح كما قال. ونحن لا نعلم من أسانيدها الكاملة إلا ما ساقه البيهقي في الدلائل ٢/ ٣١٦ - ٣١٨ وفي سنده أحمد بن يوسف السلمي لم أقف على ترجمته، ولولاه لكان السند لا بأس به. وقد ساق الطبراني الرواية في الأوسط (مجمع البحرين ٢/ ١٨ ب) وفي سنده محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، قال الهيثمي: لم أعرفه (مجمع الزوائد ٧/ ٤٧) ولم أقف على ترجمته.

(٣) كشف الأستار ٣/ ١٣٠ - ١٣١ بإسناد فيه علي بن شبيب مجهول ومحمد بن الضحاك بن عثمان انفرد ابن حبان بتوثيقه (ثقات ابن حبان ٩/ ٥٩).

(٤) أبو نعيم: دلائل النبوة ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ وفي إسناده النضر بن عبد الرحمن الخزاز متروك.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير ٣/ ٢٣٩ - ٢٤٠ في إسناده مجاهيل الحكم بن أبي الحكم الأموي قال ابن عبد البر مجهول (الاستيعاب مع الإصابة ١/ ٣١٦) وبنت الحكم قال الهيثمي: لا أعرفها (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٧).

قال ابن عباس: «إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللَّات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمدًا قمنا إليه قيامَ واحدٍ، فلم نفارقه حتى نقتله.

فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها، فقالت: هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك.

قال: يا بنية أدني وَضوءًا. فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هذا هو، فخفضوا أبصارهم، وعَقِروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم منهم رجل.

فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: شاهت الوجوه.

قال: فما أصابت رجلًا منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافرًا[1]. وهذه الحادثة قد تكررت ليلة الهجرة، وكان رسول الله يذكر ما لاقاه من أذى قريش -قبل أن ينال الأذى أحدًا من أتباعه- يقول: «لقد أُخفتُ في الله عز وجل وما يُخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال[2].

---

(١) مسند أحمد ١/ ٣٠٣، ٣٦٨ بإسنادين صحيحين، كما قال أحمد شاكر في حاشية مسند أحمد ٤/ ٢٦٩، ٥/ ١٦٣ وانظر مستدرك الحاكم ٣/ ١٥٧.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٨٦ وسنن الترمذي ٤/ ٦٤٥ وقال: هذا حديث حسن غريب، وفي تحفة الأشراف ١/ ١٢٣ وتحفة الأحوذي ٣/ ٣٠٩ قال: حسن صحيح. وصححه الألباني: صحيح الجامع ٥٠٠١ ومشكاة المصابيح ٣/ ١٤٤٦. وأما حديثه ﷺ مع وفد ثقيف عن أذى قريش له في مسند أحمد ٤/ ٣٤٣ فإسناده ضعيف فيه عثمان بن عبد الله بن أوس انفرد ابن حبان بتوثيقه، وقال ابن حجر: مقبول (تقريب ٣٨٤) وفيه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي فيه ضعف ويعتبر بحديثه (تهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٩).

اضطهاد قريش للمسلمين:

لم يقتصر أذى قريش على الاتهام الباطل، والتكذيب السافر والسخرية المرة، والأذى لرسول الله ﷺ، بل تصاعد إلى ذروة العنف وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين. فنكلت بهم لتفتنهم عن دينهم، ولتجعلهم عبرة لسواهم، ولتنفس عن غضبها بما تصبه عليهم من العذاب.

قال عبدالله بن مسعود -وهو شاهد عيان-: «أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سُمَيّة، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه.

وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسُه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: «أَحَدٌ أَحَد»[1].

ثم اشترى أبو بكر بلالًا فأعتقه[2].

---

(١) أحمد: المسند ١/ ٤٠٤ بإسناد حسن، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٣/ ٢٨٤) وصححه الذهبي في السيرة النبوية ١٣٧ وفيه عاصم بن أبي النجود صدوق له أوهام (تقريب ٢٨٥) وله شاهد صحيح السند من مرسل مجاهد (مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٧ - ٤٩).

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٩٩) وابن أبي شيبة: المصنف ١٤/ ٣١٢ بإسناد صحيح لكنه من مرسل قيس بن أبي حازم، ويقول: «اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواقٍ وهو مدفون بالحجارة». قالوا: «لو أبيت إلا أوقية لبعنا، فقال: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته».

ويذكر عروة بن الزبير -إمام أهل المغازي- «أعتق أبو بكر رضي الله عنه ممن كان يعذَّبُ في الله سبعة: عامر بن فُهيرة، وبلال، ونُذيرة، وأم عُبيس، والنَّهدية، وأختها، وجارية بني عمرو بن مؤمل»[(١)].

ومما ذكره عروة بن الزبير عن عذاب المستضعفين: أن أبا بكر مرَّ بالنَّهدية ومولاتها تعذبها، تقول: والله لا أعتقك حتى تعتقك حياتك. فقال أبو بكر فبكم؟ قالت: بكذا وكذا، فقال: قد أخذتها وأعتقتها. ثم قال للنهدية: ردي عليها طحينها.

قالت: دعني أطحنه لها[(٢)]!!

ويذكر عروة أيضًا: ذهب بصر زنيرة، وكانت ممن تعذب في الله عز وجل على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى. فقالت: كذا!؟ والله ما هو كذلك. فرد الله عليها بصرها[(٣)].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يعتق المستضعفين من الرقيق المسلم، فقال له أبوه أبو قحافة: لو أنك أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك؟ فبين له أبو بكر أنه يريد بذلك وجه الله لا المَنَعة. فنزلت الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[(٤)(٥)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٠ بإسناد صحيح إلى عروة لكنه مرسل والطبراني: المعجم الكبير ١/ ٣١٨ - ٣١٩ وانفرد بوصله عن عائشة في المستدرك ٣/ ٢٨٤ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ١٩١ من مرسل عروة. والغالب أن أخبار أبي بكر رضي الله عنه إنما أخذها عروة عن خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الليل ٥ - ٢١.

(٥) الحاكم: المستدرك ٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦ بإسناد حسن، لأن محمد بن عبد الله بن عتيق مقبول، وقد تابعه مصعب بن ثابت عن عامر (تفسير الطبري ٣٠/ ٢٢٨) ومصعب مقبول في المتابعات (تقريب التهذيب ٤٩٠، ٥٣٣).

وقد وردت روايات كثيرة في ألوان العذاب التي لقيها عمار بن ياسر وأهله، وهي تكفي لإثبات وقوع الحادث تاريخيًّا[١]، وقد ذكر المفسرون أن الآية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٢] نزلت في عمار[٣].

وممن ناله الأذى في سبيل الله خبّاب بن الأرتّ، حتى سأل رسول الله أن يدعو الله ليخفف عن المستضعفين.

قال: أتيت النبي ﷺ، وهو متوسدٌ بُردة، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّة.

فقلت: يا رسول الله ألا تدعو لنا؟

فقعد -وهو محمرٌّ وجهه- فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحمٍ أو عَصَبٍ، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع

(١) أما حديث (أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة) فأخرجه ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٤٩ بسند صحيح إلى أبي الزبير لكنه مرسل. ووصله الحاكم عن جابر، ولا يصح وصله لضعف شيخ الحاكم ولو صح سنده لبقي الضعف في السند لتدليس أبي الزبير لأنه ليس من طريق الليث عن أبي الزبير (المستدرك ٣/ ٣٨٨ - ٣٨٩). ورواه الحارث بن أبي أسامة بسند منقطع لأن سالم بن أبي الجعد (ت ٩٧ هـ) لم يسمع من عثمان بن عفان وفي إسناده عبد العزيز بن أبان ضعيف (بغية الباحث في زوائد مسند الحارث حديث رقم ٩٩٤). وقد تابعه عبد الصمد بن عبد الوارث، في مسند أحمد ١/ ٦٢ وأخرجه أبو أحمد الحاكم من طريق عُقَيل عن الزهري عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه (الإصابة ٦/ ٦٣٩)، ويتوقف تصحيح الحديث على حال سنده عنده إلى عقيل، ولكنه يعضد بالروايات التي تفيد سبب نزول الآية.

(٢) النحل ١٠٦.

(٣) الطبري: تفسير ١٤/ ١٨٢ بسند حسن من مرسل أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر (ت ٩٧ هـ)، ووصله الحاكم عن أبيه ولا يصح (مستدرك ٣/ ٣٨٨)، لأن شيخ الحاكم العلاء ابن هلال فيه لين (تقريب ٤٣٦)، وكذلك ووصله الطبراني بإسناد فيه إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وقد انفرد ابن حبان بتوثيقه (المعجم الأوسط ٣٠٤ - ٣٠٥) والمحفوظ أنه مرسل، وذكر سبب النزول قتادة وأبو مالك النضر بن أنس بن مالك البصري وهو ثقة مات سنة بضع ومئة (تقريب ٥٦١).

المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله»[١].

وكان خبّاب يعمل حدادًا، فعمل للعاص بن وائل سيفًا، فاجتمع له عنده مال، فذهب يتقاضاه. فقال العاص: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. فردَّ عليه خباب: حتى تموت ثم تبعث. فقال العاص ساخرًا بأنه سيقضيه يوم القيامة من ماله!! فنزلت الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[٢][٣].

مما يدل على ما لحق المستضعفين من ظلم وغصب لأموالهم فضلًا عن أذى أبدانهم. كما يدل على نقض قريش لحلف الفضول الذي عقدته قبل الإسلام بعقدين فقط!!

ولا شك أن المسلمين -على ضعفهم- كانوا يرغبون في الدفاع عن أنفسهم، ويبدو أن الموقف السلمي أغاظ بعضهم وخاصة الشباب منهم. وقد أتى عبدالرحمن بن عوف وأصحابه إلى النبي بمكة فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! قال: إني أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم - فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾[٤][٥].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٦٥، ٦/ ٦١٩).

(٢) مريم ٧٧.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٤/ ٤٥٢، ٥/ ٧٧، ٨/ ٤٣٠، ٤٣١). وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥٣.

(٤) النساء ٧٧. والآية مدنية تشير إلى ما حدث بمكة من الأمر بالكف عن القتال.

(٥) الطبري: تفسيره ٥/ ١٧٠ - ١٧١ والحاكم: المستدرك ٢/ ٣٠٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وأقره الذهبي، والصحيح أنه على شرط مسلم فقط، لأن البخاري أخرج للحسين بن واقد تعليقا فقط. وانظر أيضًا تفسير ابن كثير ١/ ٤٥١.

وتجمل عبارات لعائشة ﵂ ولعبدالله بن عمرو ﵁ الحال التي كان عليها المسلمون بمكة في تلك المرحلة .. قالت عائشة -وقد سئلت عن الهجرة-: «لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبُدُ ربَّه حيث شاء»(١).

وقال عبدالله بن عمر: «... كان الإسلام قليلًا، فكان الرجل يفتن في دينه، إما قتلوه، وإما عذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة!!»(٢).

وقد بقيت المأساة التي يعيشها المستضعفون حاضرة في نفس رسول الله ﷺ، فكان يدعو لمن بقي منهم بمكة بالنجاة من المشركين، وذلك بعد هجرته إلى المدينة(٣).

وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه بضبط النفس والتحلي بالصبر، وعدم مقارعة القوة بالقوة، والعدوان بالعدوان، حرصًا على حياتهم ونظرًا لمستقبل الدعوة، وإمساكًا بزمام الدعوة الوليدة أن يئدها الشر وهي لا تزال غضَّة طرية، ولعل المشركين كانوا يحرصون على مواجهة حاسمة مع الدعوة تُنهي أمرها، لكن الحكمة الإسلامية فوتت عليهم الفرصة.

وكان الرسول ﷺ يربي أصحابه على عينه، ويوجههم نحو توثيق الصلة بالله، والتقرب إليه بالعبادة، ثم نزلت هذه الآيات في المرحلة المكية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢٥٣، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.
(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٥٧، ٢٠٠ كتاب التفسير.
(٣) صحيح البخاري ٢/ ١٥ وصحيح مسلم ١/ ٤٦٦.

تأمر النبي ﷺ أن يخصص شطرًا من الليل للصلاة، وقد خيَّره الله تعالى أن يقوم للصلاة نصف الليل أو يزيد عليه أو ينقص منه، فقام النبي ﷺ وأصحابه معه قريبًا من عام حتى ورمت أقدامهم، فنزل التخفيف عنهم بعد أن علم الله منهم اجتهادَهم في طلب رضاه، وتشميرهم لتنفيذ أمره ومبتغاه، فرحمهم ربهم فخفف عنهم، فقال ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1].

ولا شك في أن امتحانهم في هجر الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس لتربيتهم على المجاهدة، وتحريرهم من الخضوع لأهواء النفس، تمهيدًا لحمل زمام القيادة والتوجيه في عالمهم، إذ لا بد من إعداد روحي عالٍ لهم، وقد اختارهم الله تعالى لحمل رسالته، وائتمنهم على دعوته، واتخذ منهم شهداء على الناس، فالعشرات من المؤمنين في هذه المرحلة التاريخية كانت أمامهم المهمات الجسيمة في تعديل مسار البشرية، وإنقاذها من الانحرافات الخطيرة، وتسديدها نحو توحيد الله وطاعته. وهي مهمة عظيمة لا يضطلع بها إلا أولئك الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. وقد وصف القرآن الكريم قيام الليل والصلاة فيه وقراءة القرآن ترتيلا أي مع البيان والتؤدة - بأنه ﴿أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، فهو أثبت أثرًا في النفس مع سكون الليل وهدأة الخلق، حيث تخلو من شواغلها، وتفرغ للذكر والمناجاة، بعيدًا عن علائق الدنيا وشواغل النهار. وبذلك يتحقق الاستعداد اللازم لتلقي الوحي الإلهي ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، والقول الثقيل هو القرآن الكريم، وقد ظهر أثر هذا الإعداد الدقيق للمسلمين الأوائل في قدرتهم على تحمل أعباء الجهاد وإنشاء الدولة بالمدينة، وفي إخلاصهم العميق للإسلام وتضحيتهم من أجل تطبيقه في واقع الحياة ونشره بين العالمين.

---

(١) المزمل ٢٠ وانظر الرواية في سنن أبي داود ٢/ ٧٢ حديث رقم ١٣٠٥ وتفسير الطبري ٢٩/ ٧٩.

لجوء قريش إلى المفاوضات:

وقد لجأت قريش إلى مفاوضة أبي طالب عم الرسول ليكفه عن دعوته.

قال عقيل بن أبي طالب -وهو شاهد عيان مشارك في الحدث: «جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا. فقال: يا عقيل، انطلق فائتني بمحمد ﷺ فانطلقت إليه، فاستخرجته من كبسي[1] -بيت صغير- فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة الحر الرحض. فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم. فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم. قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة.

فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا[2].

وقد اشتد الضغط على الرسول ﷺ وأتباعه بعد فشل هذه المفاوضات.

لجوء المشركين إلى المطالبة بالمعجزات لإثبات النبوة:

أخذ عناد المشركين يقوى ولجاجتهم تشتد، وقد أرادوا إحراج الرسول وتحديه بمطالبته بالإتيان بمعجزات تثبت نبوته.

---

(١) في الأصل «خيسي» وصوبته من النهاية ٤/ ١٤٣.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ١٥٥ من زيادات يونس بن بكير عليه، وليونس متابع ثقة هو عبد الواحد بن زياد عند الحاكم: المستدرك ٣/ ٥٧٧، وقد صحح الألباني الحديث (السلسلة الصحيحة ١/ ١٤٧). وقارن برواية ابن إسحاق: السير والمغازي ١٥٤ بإسناد معضل (الألباني: السلسلة الضعيفة ٢/ ٣١١، لأن يعقوب بن عتبة من أتباع التابعين وقد أرسله).

قال عبدالله بن عباس: «قالت قريش للنبي: ادعُ لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك».

قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا. فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة؟

قال: بل «باب التوبة والرحمة»(١).

قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾(٢)(٣).

فكما أن معجزة هود لم تنفع في جلبِ ثمود إلى الإيمان، فإن المشركين من قريش لن تنفعهم قياسًا على ما وقع من عِبَر التاريخ الغابرة.

ولكن أمام إلحاح المشركين وعنادهم استجاب لهم -وقد سألوه آية- فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا جبل حراء بينهما(٤).

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٤٢، ٣٤٥ وكشف الأستار ٣/ ٥٥ مستدرك الحاكم ١/ ٥٣ - ٥٤ وقال: «هذا حديث صحيح محفوظ من حديث الثوري عن سلمة بن كهيل». والطبراني: المعجم الكبير ١٢/ ١٥٢ قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٧/ ٥٠). وقال ابن كثير: إسناده جيد (السيرة النبوية ١/ ٣٦٢) وللحديث سند آخر عن ابن عباس (مسند أحمد ١/ ٢٥٨) وفيه تدليس الأعمش لكنه يعتضد بالطريق الأول، لذلك صححه الحاكم والذهبي (المستدرك ٢/ ٣٦٢ والسيرة النبوية للذهبي ١٣٥ وقال ابن كثير بعد أن عزاه للنسائي: إسناده جيد (السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤٨٣).

(٢) الإسراء ٥٩.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٥٨ بإسناد جيد كما في حاشية (١) منه.

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٨٢ و ٨/ ٦١٧) وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥٨، ٢١٥٩.

وقد شاهد الصحابي عبدالله بن مسعود حادثة انشقاق القمر بمكة[١].

وقد خلّد القرآن هذه المعجزة، فقال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[٢].

وهكذا عللوا رؤيتهم لانشقاق القمر بالسحر، وكانوا يتّهمون به الرسول ﷺ. وتحققت فيهم سُنة السابقين مع المعجزات الحسيَّة كما أخبر القرآن.

ولم يثبت من طريق صحيحة أن عتبة بن ربيعة أو الوليد بن المغيرة عرضا على رسول الله ﷺ عروضًا من الرئاسة والمال والزواج والتطبب[٣]، وإن اشتهر هذا بين الناس، ولا يعني ذلك نفي وقوع الأمر تاريخيًّا بل عدم ثبوته فقط، وما أكثر الأحداث التاريخية التي وقعت ثم لا يمكن إقامة الأدلة الصحيحة عليها.

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ٧/ ٦٧٠، وأصله في الصحيحين عن ابن مسعود مختصرا (فتح الباري ٦/ ٦٣١ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) القمر ١ - ٢ ومستمر: ذاهب، وعن سبب النزول راجع سنن الترمذي ٥/ ٣٩٧ - ٣٩٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقد وردت روايات واهية تفصل الخبر (راجع دلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٣٦٨ وفي سنده موسى بن عبد الرحمن الثقفي واهٍ ميزان الاعتدال ٤/ ٢١١ - ٢١٢ - وبسند آخر في ١/ ٣٦٩ فيه بشر بن الزبير الأصبهاني واه ميزان الاعتدال ١/ ٣١٥ - ٣١٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٩٥ - ٢٩٧ ومسند عبد بن حميد من طريق ابن أبي شيبة (تفسير ابن كثير ٤/ ٨٢) ومسند أبي يعلى ٣/ ٣٤٩ ودلائل البيهقي ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٤) بإسناد فيه الذيال بن حرملة مجهول الحال انفرد ابن حبان بتوثيقه (الثقات ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٣). وفيه الأجلح وقد ضُعِّف بعض الشيء (ابن كثير: تفسير ٤/ ٩٠ - ٩١) ومدار الروايات المسندة المعتبرة عليهما. ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٣٠٤ - ٣٠٥ وفي إسناده المثنى بن زرعة مجهول (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٣٢٧) وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه (السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٥٠٥). والسير والمغازي لابن إسحاق ١٣١ - ١٣٢ - ط. حميد الله - وفي سنده محمد بن أبي محمد مجهول (تقريب ٥٠٥) وسيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣ بسند حسن مرسل. ويرى ابن كثير أن سياقه أشبه من غيره (تفسير ٤/ ٨٣). وثمة روايات أخرى تالفة (المعجم الكبير للطبراني ١١/ ١٢٥ بسند فيه إبراهيم الخوزي متروك، ومجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ١٣١ وفي سند البزار والطبراني معلّى بن عبد الرحمن كذاب (مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠ وراجع كشف الأستار ٣/ ٧٣).

كما لم يثبت أن قريشًا عرضت عليه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة[١]. كما لا يصح أن أبا جهل اعترف بأن المنافسة بين عشيرته وبين عبد مناف هي التي دفعت بني عبد مناف إلى ادعاء النبوة ابتغاء الشرف عليهم[٢].

مجادلة قريش:

وقد سلك المشركون طريقة الجدال لدحض الحق، فقد قال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير -وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم وما يقول محمد[٣] -فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدًا من عباد الله صالحًا؟ فلئن كنت صادقًا فإن آلهتهم لكما تقولون[٤].

فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٣٣٧ وتفسيره ٣٠/ ٣٣١ من مرسل سعيد بن مينا فعلَّتُهُ الإرسال. ووصله بإسناد آخر فيه محمد بن موسى الحرشي ضعيف، وفيه عبد الله بن عيسى بن خالد في روايته عن داود بن أبي هند ما لا يوافقه عليه الثقات (تهذيب التهذيب ٥/ ٣٥٣).

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ١٨٩ - ١٩٠، ٢١٠ بإسنادين منقطعين.

(٣) في الأصل «وما تقول في محمد» والتصويب من مجمع الزوائد ٧/ ١٠٤ يعني أن ما تعلمه قريش وما يقوله محمد واحد، فهما متفقان على المقدمة.

(٤) يعني أن نتيجة كلام الرسول أن عيسى ما فيه خيرٌ لأنه يُعبد من دون الله.

(٥) الزخرف ٥٧ والرواية في مسند أحمد ١/ ٣١٧ - ٣١٨ والمعجم الكبير للطبراني ١٢/ ١٥٣ - ١٥٤ كلاهما من حديث ابن عباس وإسنادهما حسن، عاصم ابن بهدلة حسَّن الذهبي حديثه (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٧)، وثمة رواية ضعيفة تتضمن مجادلة حول الملائكة وعزير وعيسى، وتذكر نزول آية أخرى (مستدرك الحاكم ٢/ ٣٨٤ - ٣٨٥ وصحح إسناده وأقره الذهبي، وفي إسناده محمد بن موسى القاشاني ضعيف). وانظر: تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٨ من رواية ابن مردويه وشيخه محمد بن علي بن سهل ضعيف (ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٢ - ٦٥٣). وتفسير الطبري ١٧/ ٩٧ بسند فيه عطاء بن السائب اختلط، ولم يُذكر أن يحيى بن المهلب روى عنه قبل الاختلاط. وانظر رواية البزار بإسناد ضعيف (كشف الأستار ٣/ ٥٩)، لأن فيه شرحبيل بن سعد انفرد ابن حبان بتوثيقه. ورواية ابن أبي حاتم في تفسيره بسند فيه مبهم (تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٨).

وهذا القياس الفاسد من قريش، من تشبيه الأنبياء المكرمين بالأصنام المعبودة غير العاقلة اقتضى الرد عليه، فقال الله تعالى مبينًا عبودية عيسى لله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ وإنه لم يدعُ إلى عبادة نفسه، بل دعا إلى عبادة الله وحده: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وسمَّى القرآن احتجاج قريش بالجدل ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾. وهو المراء الباطل، حيث كانوا عربًا فصحاء، لا يخفى عليهم أن الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[1] هي خطاب لقريش، وهم يعبدون أصنامًا لا تعقل، وليست خطابًا للنصارى، فلا يرد اعتراضهم على الآية أصلًا -وهي لما لا يعقل- بدعوى اشتمالها للمسيح عليه السلام.

ومن المجادلات التي أثارها المشركون سؤالهم عن الروح، قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح. فنزلت ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] قالوا: نحن لم نؤتَ من العلم إلا قليلًا، وقد أوتينا التوراة، ومن أوتيَ التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا!! فنزلت ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[3].

وسورة الإسراء كلها مكية[4]، ويحتمل إعادة نزولها عندما أثار اليهود الجدل حول الروح مرة أخرى في المدينة[5].

---

(١) الأنبياء ٩٨ وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٧ - ١١٨ ط. خليل الميس.

(٢) الآية من سورة الإسراء ٨٥.

(٣) الآية من سورة الكهف ١٠٩ والرواية في سنن الترمذي ٥/ ٣٠٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ومسند أحمد ١/ ٢٥٥ ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٣١ وصحح إسناده وأقره الذهبي وصححه أيضًا في السيرة النبوية ١٣٤ وصححه الحافظ ابن حجر على شرط مسلم في الفتح ٨/ ٤٠١ وفي السند عكرمة أخرج له مسلم مقرونًا (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٢).

(٤) ابن كثير تفسير ٣/ ٦٠، وحكى الزركشي الاتفاق على ذلك (البرهان ١/ ٣٠).

(٥) صحيح البخاري (فتح ١٠/ ١٥، ٨/ ٤٠١) وصحيح مسلم ٤/ ٢١٥٢ وسنن الترمذي ٥/ ٣٠٤. وهذا الجمع بين الروايات أولى من ترجيح نزول الآية في المدينة.

لقد ورد في القرآن الكريم أن مشركي قريش اتهموا رسول الله ﷺ بأخذ العلم من مصادر أعجمية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[١].

وقد بيَّن الصحابي عبدالله بن مسلم الحضرمي أنه كان لهم صبيَّان عبدان يصقلان السيوف، يقرأان التوراة، هما يَسار وخير، فمر بهما رسول الله ﷺ وهما يقرأان كتابًا لهما، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وكانا يقرأان التوراة بلسانهما، وأصلهما من أهل نجران[٣]، في حين تذهب رواية إلى أنهما من عين[٤] التمر. وتذهب روايات أخرى ضعيفة أيضًا إلى أن اسم القين الأعجمي بلعام[٥]. أو يعيش[٦]. إن الرواية الصحيحة

(١) النحل ١٠٣.

(٢) بحشل: تاريخ واسط ٤٩ بإسناد صحيح، وسماع خالد الطحان من حصين قبل الاختلاط (الكواكب النيرات ١٤٠) وسماع حصين من عبد الله بن مسلم صحيح (الإصابة ٤/ ٤١٩). وقارن برواية الطبري: تفسير ١٤/ ١٧٩ وفيها (وكان رسول الله ربما جلس إليهما). وفيه «جبر» بدل «خير». وقارن برواية ابن أبي حاتم (السيوطي: لباب النقول ١٣٤). وبرواية الحاكم (المستدرك ٢/ ٣٥٧) بإسناد ضعيف لضعف عبد الرحمن بن الحسن الأسدي شيخ الحاكم.

(٣) ابن حجر: الإصابة ٤/ ٤١٨ - ٤١٩ نقلًا عن البغوي، وصحح سنده، والواحدي: أسباب النزول ١٦١ - ١٦٢ (ط. دار الكتب العلمية).

(٤) بحشل: تاريخ واسط ٩٩ وفي سنده محمد بن خالد الطحان ضعيف وأسباب النزول للواحدي ١٦١ - ١٦٢ من طريق ابن فضيل التي أخرجها البغوي وفيها أنهما من نجران.

(٥) الطبري: تفسير ١٤/ ١٧٧ بإسناد ضعفه السيوطي (لباب النقول ١٣٤) فيه مسلم بن عبد الله الملائي وهو ضعيف (تقريب ٥٣٠) وقد رفعه إلى ابن عباس، والمحفوظ أنه مرسل مجاهد كما في تفسير الطبري ١٤/ ١٧٩.

(٦) الطبري: تفسير ١٤/ ١٧٨.

تثبت أن الرسول ﷺ مر به مرة واحدة، وتفيد أنهما صبيان، وكانا يقرأان التوراة بلسانهما أي بغير العربية، والغالب أنها العبرانية كما هو معروف عن يهود الحجاز.

ولو افترضنا أنه جلس إليهما عدة مرات كما في الروايات الضعيفة، فمن أين لغلامين يصقلان السيوف أن يعلما رسول الله نظامًا شاملًا للحياة ينبثق عن عقيدة مغايرة للنصرانية؟! ثم لماذا انفرد الرسول ﷺ بمعرفة ما عندهما من العلم، وأين مالكهما ابن الحضرمي من ذلك، وقد آمن برسالة محمد ﷺ، وعنه نقل الخبر الصحيح بشأن غلاميه النصرانيين. وغنيّ عن القول أن لا علاقة للغلامين الأعجميين ببلاغة القرآن المعجزة، وهي حجة الله على العرب الفصحاء وعلى من عرف أسرار لغتهم وتذوق حلاوتها إلى يوم الدين. فكيف يكون مصدرها أعجميين؟!

وكذلك جادل المشركون في نزول القرآن منجمًا قائلين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وقد بين الله تعالى علة ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[1].

وقد خاصم المشركون رسول الله ﷺ في القَدَر -وهو إثبات ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وكتبه على عباده، فكل ما يقع لهم إنما هو مقدر في الأزل معلوم لله مراد له- فنزلت الآية ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[2][3].

---

(١) الفرقان ٣٢. وانظر الرواية في مستدرك الحاكم ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما لم يخرجاه ووافقه الذهبي وانظر فتح القدير للشوكاني ٤/ ٧٥ (ط. دار المعرفة).

(٢) القمر ٤٨ - ٤٩.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٤٦ وسنن الترمذي ٤/ ٤٥٩ وقال: صحيح.

ولقد منعت الأنفة والكبر المشركين من الاستماع إلى الرسول بحضور المستضعفين من المؤمنين، مثل عبدالله بن مسعود وبلال الحبشي، فطلبوا من الرسول أن يطردهم، فنزلت ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(١).

بل قد عاتب الله تعالى رسوله عندما أعرض عن ابن أمِّ مكتوم، وهو يسأله عن شيء، ورسول الله منصرف إلى الكلام مع أبي بن خلف فنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾(٢).

إنه لا مجال للامتيازات في دعوة الحق بسبب الحسب والنسب أو المال والجاه، فهي إنما جاءت لتأصيل النظرة إلى الإنسان وبيان وحدة الأصل وما تقتضيه من المساواة والتكافؤ، من هنا يمكن تعليل شدة أسلوب العتاب الذي وجهه الله تعالى لرسوله ﷺ للاهتمام الكبير الذي أظهره لأُبيّ ابن خلف على حساب استقباله لابن أم مكتوم الضعيف، فابن أم مكتوم يرجح في ميزان الحق على المئات من أمثال أبيّ بن خلف.

وقد جادل المشركون في عقيدة البعث فأكثروا فيها الجدل، فإن عقليتهم لم تتسع إلى تصور الحياة بعد الموت -كما حكى القرآن على لسانهم، ولكن هذا لا ينطبق على البعض منهم مثل أمية بن أبي الصلت، حيث يدل شعره

(١) الأنعام ٥٢. والحديث في صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٨ حديث رقم ٢٤١٣ وقد ذكرت رواية ضعيفة أسماء الذي طلب الملأ طردهم وهم سعد وعبد الله بن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال. (ابن ماجة: السنن ٢/ ١٣٨٣ بإسناد فيه قيس بن الربيع صدوق اختلط لما كبر (تقريب التهذيب ٤٥٧).

(٢) عبس: ١، ٢. والحديث في سنن الترمذي ٤/ ٢٠٩ بإسناد رجاله رجال الصحيح، وصححه الحاكم على شرطهما، لكن الذهبي رجح فيه الإرسال (المستدرك ٢/ ٥١٤).

على إيمانه بالبعث والآخرة - ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ -[١]. حتى جاء العاص بن وائل بعظم بالٍ إلى رسول الله ﷺ، فتساءل ساخرًا: إن كان الله يبعث ذلك العظم البالي!! فقال له رسول الله: «نعم، يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم». فنزلت الآيات ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٢] إلى آخر السورة[٣].

ولم يكن أهل مكة يعترفون بعقيدة النبوة نفسها -إلا الحنفاء الموحدين، وهم قلة قليلة-، لذلك كانت مواجهتهم لنبوة محمد ﷺ ساخرة مليئة بالريبة، كما في الآية ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾[٤].

وقد تجادل ثلاثة من المشركين بينهم عند البيت الحرام حول إحدى صفات الله وهي السمع، فمنهم من أثبتها ومنهم من أنكرها، فنزلت الآية ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[٥]. أي إنهم ما كانوا يخفون عن حواسهم وأعضائهم المعاصي التي يرتكبونها لاعتقادهم أن الله لا يعلم جميع ما يفعلون.

---

(١) الصافات ١٦. (ابن ماجة: السنن ٢/ ١٣٨٣ بإسناد فيه قيس بن الربيع صدوق اختلط لما كبر (تقريب التهذيب ٤٥٧).

(٢) يس ٧٧.

(٣) الحاكم: المستدرك ٢/ ٤٢٩ وصححه ووافقه الذهبي. وأما رواية الطبري التي تقول: إن السائل هو عبد الله بن أبي ابن سلول فضعيفة الإسناد من طريق عطية العوفي، ولأن السورة مكية. تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨١ (ط. دار الشعب) نقلًا عن ابن أبي حاتم.

(٤) الإسراء ٩٤.

(٥) فصّلت ٢٢. والرواية في الصحيحين (فتح الباري ٨/ ٥٦٢ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٢٢). وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٨٧ (ط. خليل الميس).

ولما نزلت الآية ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾[1]. وقعت مجادلة بين أبي بكر والمشركين حول الحرب بين الروم والفرس، وكان المسلمون يحبون أن ينتصر الروم لأنهم نصارى، وكان عاطفة المشركين مع الفرس لأنهم مجوس وأهل أوثان، فراهن أبو بكر على انتصار الروم خلال خمس سنوات برهان، وذلك قبل تحريم الرهان في الإسلام[2]. ويؤيد حساب السنين أن الرهان جرى في بداية مرحلة الجهر بالدعوة.

ولا بد أن فرحة المؤمنين بانتصار الروم كانت كبيرة لما فيها من تأييد القرآن وخذلان المشركين، فضلًا عن انتصار أهل الكتاب على المجوس، بل قد أسلم ناس كثير على إثر ذلك[3].

إن مراقبة الأوضاع خارج الجزيرة العربية مهمة لبلد تجاري كمكة، وخاصة الصراع بين أقوى دول العالم يومئذ: الفرس والروم. كما أن نبوءة القرآن كانت تشعر المؤمنين بأهمية متابعة التطورات السياسية خارج بلادهم، بل وفيها ما يرمز إلى وحدة موقف المؤمنين بالله أمام الوثنية والإلحاد منذ أن كان المؤمنون قلة مستضعفة بمكة.

---

(١) الروم ١ - ٤.

(٢) والرواية في سنن الترمذي ٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم في (المستدرك ٢/ ٤١٠ ووافقه الذهبي). وانظر الفتح الرباني ١٨/ ٢٢٨ والمعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٩ وتفسير الطبري ٢١/ ١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٣٠.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٤٤ - ٣٤٥ وقال: هذا حديث صحيح حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥/ ٣٤٤ رقم ٣١٩٤)، وقارن برواية ابن أبي حاتم (تفسير ابن كثير ٦/ ٣٠٥ - ٣٠٦ ط. الشعب وفي ط. بيروت ٣/ ٤٢٣ وفيه خطأ). بإسناد فيه مؤمل بن إسماعيل صدوق سيئ الحفظ (تقريب ٥٥٥)، وفيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلس. وقارن أيضًا برواية الطبري: تفسير ٢١/ ١٩ بإسناد منقطع، لأن عامرًا الشعبي لم يسمع ابن مسعود، ورجح ابن كثير فيه الإرسال (تفسير ٣/ ٤٢٣).

إن الجدل الساخن يوضح جانبًا آخر من العلاقات بين المسلمين والمشركين، وقد تصاعد العنف مع الأيام، فأصبح المسلمون في حالة انفصام تام عن المجتمع المكي تحيط بهم النظرات الغاضبة والألسن الشاتمة والأيدي المعتدية بأنواع العذاب، لذلك صار مقام المسلمين في مكة غاية في الصعوبة، ومن هنا جاء التفكير بمكان آمن يهاجرون إليه، وكان توجههم الأول نحو الحبشة.

الهجرة إلى الحبشة:

من الثابت أن المسلمين هاجروا إلى الحبشة مرتين[١]، وكانت الهجرة الأولى في شهر رجب من سنة خمس من المبعث، وهم أحد عشر رجلًا وأربع نسوة خرجوا مشاة إلى البحر، فاستأجروا سفينة بنصف دينار[٢].

وقد صورت أم سلمة (زوج النبي ﷺ) -وهي ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى- الظروف التي أحاطت بهذه الهجرة، قالت: «لما ضاقت علينا مكة -وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم. وكان رسول الله ﷺ في مَنَعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله ﷺ: (إن بأرض الحبشة ملكًا لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه)، فخرجنا إليها أرسالًا حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمِنَّا على ديننا ولم نخشَ منه ظلمًا»[٣].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٨٧).

(٢) فتح الباري ٧/ ١٨٧ - ١٨٨ (وهو قول الواقدي وإن لم يصرح الحافظ باسمه، كما في طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٤) ويذكر ابن إسحاق أنهم عشرة رجال وأربع نسوة (سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٤).

(٣) فتح الباري ٧/ ١٨٩ وسيرة ابن إسحاق ١٩٤ وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٤ بإسناد حسن، فرواية يونس بن بكير توبعت برواية البكائي وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وممن خرج مهاجرًا إلى الحبشة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى إذا بلغ بَرْك الغِمَاد[١] لقيه ابن الدَّغِنَّة -وهو سيد القارة[٢] - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يَخرج ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحملُ الكَلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[٣]، وأنا لك جارٌ فارجع فاعبد ربك ببلادك. فرجع أبو بكر مع ابن الدَّغِنَّة الذي أعلن في قريش جواره له. فوافقت قريش على أن يعبد أبو بكر ربه في داره ولا يستعلن، فمضى وقت على ذلك ثم أخذ أبو بكر يجهر بقراءة القرآن في فناء داره فيجتمع نساء وأبناء المشركين يعجبون وينظرون إليه «وكان رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن» فأفزع ذلك قريشا، وطلبوا من ابن الدغنة أن يكفه، فخيره ابن الدغنة بين الإسرار بعبادته أو أن يرد عليه جواره، فرد أبو بكر عليه جواره قائلا: إني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله[٤].

وهكذا بقي أبو بكر بمكة إلى جوار رسول الله ﷺ يحتمل أذى المشركين بعد أن كان رسول الله قد أذن له بالهجرة إلى الحبشة[٥].

وفي أعقاب الهجرة الأولى إلى الحبشة حدث أن صلى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام، فقرأ سورة النجم فسجد في موضع السجود وسجد كل من كان حاضرًا إلا اثنين من المستكبرين، فشاع أن قريشًا قد أسلمت[٦].

---

(١) موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. (فتح الباري ٧/ ٢٣٢).

(٢) حلفاء بني زهرة من قريش (الفتح ٧/ ٢٣٣).

(٣) يبدو أن هذه العبارة محفوظة عند الناس يقولونها في الثناء على صاحب المروءة، لذلك فقد وردت على لسان خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وصف رسول الله ﷺ في حديث بدء الوحي.

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٤/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٧٢ - ٣٧٤ بإسناد حسن.

(٦) صحيح البخاري كما في فتح الباري ٢/ ٥٥١، ٥٥٣، ٥٥٧، ٥٦٠، ٥٦٥، ٨/ ٦١٤ وصحيح مسلم ١/ ٤٠٥ وراجع الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

وقد ذهبت روايات مرسلة صحيحة السند إلى مرسليها وهم سعيد ابن جبير وأبو بكر بن عبدالرحمن وأبو العالية إلى أن الشيطان ألقى على لسان الرسول ﷺ في قراءته في صلاته تلك عبارة (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى)، كما ذهبت روايات مرسلة أخرى ضعيفة الأسانيد إلى مرسليها إلى أن العبارة قالها الشيطان وسمعها المشركون دون المسلمين، فسجد المشركون بسجود المسلمين[١]. وما قالته المراسيل المعتبرة يصطدم مع عصمة النبوة في قضية الوحي ويعارض التوحيد وهو أصل العقيدة الإسلامية؛ لذلك فإنها مرفوضة متنا حتى لو ثبت تعدد مخارجها، ولم يأخذها الثلاثة التابعون عن شيخ واحد.

لقد بين فوك أن بعض المستشرقين صدق القصة، وبعضهم كذبها حسب الهوى[٢]، وأما زعم واط أن القصة صحيحة لأنها في غاية الغرابة، فلا بد أن تكون حقيقية في جوهرها، إذ لا يتصور أن يكون أحد اختلق قصة مثلها، ثم أقنع جماعة ضخمة من المسلمين أن تقبلها[٣].

والحق أن تصحيح واط لها لأنها وافقت هواه، فمتى كانت الغرابة مقياسا لتصحيح الروايات، ولماذا لا يبين رفض كثير من علماء المسلمين لها.

ولعل سجود المشركين مع الرسول ﷺ لما اعتراهم من خوف ودهشة، وهم يستمعون إلى أخبار هلاك الأمم السالفة[٤].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) Fueck . j . the role of traditionalism in islam in Swarts,M(ed & transl) ,studies on Islam ,Oxford , 1983 . p .112.

(٣) watt ,M.Mohammad ,propht and states man p .61 .

(٤) الآلوسي: روح المعاني ١٧/ ١٧٨ ط المنيرية.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

ثم بلغ المسلمين وهم بأرض الحبشة «أن أهل مكة أسلموا، فرجع ناس منهم عثمان بن مظعون إلى مكة، فلم يجدوا ما أخبروا به صحيحا، فرجعوا، وسار معهم جماعة إلى الحبشة، وهي الهجرة الثانية وسرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية وهم زيادة عن ثمانين رجلا. وقال ابن جرير: كانوا اثنين وثمانين رجلا سوى نسائهم وأبنائهم .. وقيل: إن عدة نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة»(١).

لقد ذكر ابن إسحاق دوافع الهجرة الثانية، فقال: «فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة توائبوا على أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة»(٢).

لقد أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة يحملان الهدايا إلى النجاشي وبطارقته، فقابلا النجاشي طالبين إليه إعادة من هاجر من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى المسلمين فسألهم عن دينهم، فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: «أيها الملك كنا قوما على الشرك، نعبدالأوثان ونأكل الميتة، ونسيئ الجوار، ونستحل المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئا ولا نحرمه. فبعث الله إلينا نبيا من أنفسنا نعرف

(١) فتح الباري ٧/ ١٨٩.
(٢) السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢١٣ - تحقيق سهيل زكار.

وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبدالله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره».

فقال: هل معك شيء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله.

فقال جعفر: نعم.

قال: هَلُمَّ فاتْلُ عليَّ ما جاء به.

فقرأ عليه صدرا من كهيعص[1]، فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم.

ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين.

ولما أخفقت محاولة وفد قريش في استعادتهم، أثار عمرو بن العاص في اليوم اللاحق موقف المسلمين من عيسى عليه السلام، فقال للنجاشي: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا.

فأرسل النجاشي إليهم فسألهم، فقال له جعفر: نقول هو عبدالله ورسوله وكلمته وروحه، ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فقال النجاشي: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود.

---

(١) يعني سورة مريم.

وأعطى النجاشي الأمان للمسلمين، فأقاموا مع خير جار في خير دار، -كما تقول أم سلمة رضي الله عنها[١].

وتذكر رواية صحيحة أن القسيسين والرهبان الذين حضروا مجلس النجاشي وسمعوا القرآن، انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فأنزل الله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ﴾[٢]. إن مبادرة قريش لإرسال وفد لاستعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة تدل على إدراكها لخطورة الموقف إذا ما

---

(١) ابن إسحاق: السير والمغازي ٢١٣ - ٢١٧ وسيرة ابن هشام ١/ ٢٨٩ - ٢٩٣ بإسناد حسن إلى أم سلمة رضي الله عنها ولعل عائشة رضي الله عنها التي حكت خبر النجاشي مع عمه سمعت ذلك من أم سلمة (ابن إسحاق: سيرة ١٩٧ - ١٩٩). وأما رواية أحمد في مسنده ١/ ٤٦١ من حديث ابن مسعود فسنده ضعيف فيه خديج بن معاوية يصلح حديثه للاعتبار فقط، وفيه عنعنة أبي إسحاق وهو مدلس، ومتنه مضطرب يجمع أخبارا تتصل بالهجرة الثانية فيجعلها في الهجرة الأولى. وظاهره أن أبا موسى هاجر من مكة إلى الحبشة مما يخالف ما في الصحيحين. وقد حسن ابن كثير وابن حجر إسناد هذا الحديث. (السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١١ ... وفتح الباري لابن حجر ٧/ ١٨٩) وكذلك فإن سياق حديث أبي موسى الأشعري في مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٣٤٦ - ٣٤٨ إسناده ضعيف لعنعنة أبي إسحاق السبيعي وإن صححه الحاكم والذهبي والبيهقي (المستدرك ٢/ ٣٠٩ - ٣١٠ ودلائل البيهقي ٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠) وهو مخالف لما في الصحيحين ظاهره يدل على هجرة أبي موسى الأشعري من مكة في الهجرة الأولى إلى الحبشة. وقد بين ابن كثير غرابة كلام ابن إسحاق وأنه لا يلتفت إليه (ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٩، ١/ ٢٤٨). وقد سبقه إلى ذلك ابن حزم (جوامع السيرة ٨٥) وابن سيد الناس (عيون الأثر ١/ ١١٨) ولعل الواقدي هو أول من انتبه لهذا الأمر (زاد المعاد ٣/ ٢٨ والدرر لابن عبد البر ٥٢. ط شوقي).

(٢) المائدة ٨٢ - ٨٣. وانظر الرواية في تفسير الطبري ٧/ ٣ بإسناد صحيح، وقارن برواية البزار في كشف الأستار ٢/ ٢٩٧ بإسناد ضعيف فيه عمير بن إسحاق مقبول، وفيه إسلام عمرو بن العاص بالحبشة مبكرا، وهو مخالف للمحفوظ.

حصل المسلمون على مأوى لهم يأمنون فيه، والحبشة نصرانية، وملكها عرف بالعدل، وهي قريبة من مكة، وكل ذلك يشكل خطرًا على قريش في المستقبل.

ومما يبعث على العجب والإكبار لموقف المهاجرين بيانهم لعقيدتهم في عيسى عليه السلام بصراحة ووضوح، رغم مخالفتها للنصرانية السائدة في الحبشة. فلم يلجأوا إلى مجاملة الأساقفة الحاضرين خوفًا من تسليمهم لقريش. فأحسن الله عاقبتهم وآمنهم في دار هجرتهم[١]. ولكن لا يخفى أن هجرة الوطن تصعب على المرء، وهو لا يفعل ذلك إلا مضطرًا، وقد كان المسلمون المهاجرون عربًا يعيشون في وسط غريب لا تربطهم به وشائج رحم ولا لغة، فضلًا عن كونه وسطًا نصرانيًّا يخالفهم في المعتقد إلا النجاشي، فإنه أسلم وورى بإسلامه أمام قومه[٢]. وهذا يتضح من مجادلة أسماء بنت عميس - إحدى المهاجرات إلى الحبشة قدمت مع جعفر إلى المدينة - مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قال لها: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم. فقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ... ونحن كنا نؤذى ونخاف ... لقد فصل رسول الله ﷺ الأمر بينهما بقوله: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. فعظم الفرح بين مهاجرة الحبشة[٣].

---

(١) ذكر الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ١٠٩ - ١١١ والذهبي في السيرة النبوية ١٢١ - ٢٢٢ من حديث جعفر بن أبي طالب أن النجاشي سأل المسلمين: «أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فأمر مناديًا فنادى: من آذى أحدًا منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: يكفيكم؟ فقلنا: لا، فأضعفها». وإسناده ضعيف، لأن مداره على أسد بن عمرو الكوفي عن مجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف وقد وثقا (مجمع الزوائد ٦/ ٣٠).

(٢) لقد أرسل النبي ﷺ رسالة إلى النجاشي في عام إرساله الكتب إلى ملوك الأرض يدعوه إلى الإسلام، وقد بين حديث صحيح أنه غير النجاشي المسلم أصحمة) صحيح مسلم ٣/ ١٣٩٧.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٢٣٧، ٧/ ١٨٨، ٤٨٤، ٤٨٧) وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٦٤ - ٦٦.

لقد توفي عبيد الله بن جحش[١] زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان فخطبها رسول الله وتزوجها وهي بالحبشة، زوجه إياها النجاشي ومهرها أربعة آلاف، ثم جهزها من عنده، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وجهازها كله من عند النجاشي، ولم يرسل إليها رسول الله ﷺ بشيء، وكانت مهور أزواج النبي ﷺ أربعمائة درهم[٢].

وقد هاجر معظم مهاجرة الحبشة إلى المدينة بعد استقرار الإسلام فيها، وتأخر جعفر بن أبي طالب ومن معه[٣] إلى فتح خيبر سنة ٧هـ.

لقد انضم إلى المسلمين في الحبشة أبو موسى الأشعري مع جمع من قومه بلغوا ثلاثة وخمسين رجلا، وكانوا قد ركبوا سفينة يريدون الهجرة إلى المدينة حين بلغهم استقرار الوضع فيها لصالح الإسلام، فألقتهم الرياح إلى الحبشة فالتحقوا بالمسلمين ومكثوا معهم إلى أن عادوا جميعا إلى المدينة حين افتتح المسلمون خيبر[٤].

---

(١) المشهور عند أهل المغازي أنه تنصر قبل وفاته (ابن إسحاق: كتاب السير والمغازي ٢٥٩ والواقدي كما في طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٨) وقد ورد أنه حين حضرته الوفاة أوصى إلى رسول الله ﷺ. (موارد الظمآن ٣١٢ بإسناد حسن، لكن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي - صدوق - (تقريب ٣٣٩) خالف بزيادته هذه معمرا ويونس عن الزهري، وهما أوثق منه، ويرى النسائي أن رواية ابن مسافر عن الزهري في طبقة رواية ابن أبي ذئب عن الزهري التي قيل: إنها عرض، وقيل مناولة دون سماع، فإن مسألة الوصية لا تثبت حديثيا (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٥).

(٢) مسند أحمد ٦/ ٤٢٧ وسنن أبي داود ٢/ ٥٣٨، ٥٦٩ بإسناد صحيح وسنن النسائي ٦/ ١١٩ ومستدرك الحاكم ٢/ ١٨١ وصححه وأقره الذهبي.

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٣٤).

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٢٣٧، ٧/ ١٨٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧) وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ٦٤ - ٦٦.

إسلام عمر بن الخطاب:

لم تصح رواية في تحديد وقت إسلام عمر بن الخطاب بدقة، ولكن ابن إسحاق جعل إسلام عمر بعد هجرة الحبشة، وذكر من وجه آخر إنه عقب هجرة الحبشة الأولى[١]، وتحدد رواية الواقدي إسلامه في ذي الحجة السنة السادسة من البعثة وهو ابن ست وعشرين سنة، كما تحدد روايات الواقدي أن عدد المسلمين كان أربعين أو خمسين أو ستا وخمسين، منهم عشر نسوة أو إحدى عشرة[٢].

وكان عمر رجلاً قويًّا مهيبًا، وكان يؤذي المسلمين ويشتد عليهم، قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - وهو ابن عم عمر، وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب -: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم»[٣].

وهكذا ربط عمر سعيدًا بسبب إسلامه ليصده عن دينه. ولكن شدته الظاهرة تكمن خلفها رحمة ورقة، فقد أخبرت أم عبدالله بنت أبي حثمة - وهي من مهاجرة الحبشة - قالت: «والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب، حتى وقف عليَّ - وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدة علينا - فقال: إنه للانطلاق يا أم عبدالله؟ فقلت: نعم والله، لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله مخرجًا.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ١٨٣ وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٩ - ٢٧٠ والواقدي متروك - وهو راوي الخبر - ويؤيده أن عمر عبدالله بن عمر - وقد عقل قصة إسلام والده ورواها - كان ابن خمس سنين، وكان يوم أحد ابن أربع عشر سنة، وذلك بعد المبعث بست عشرة سنة، فيكون مولده بعد المبعث بسنتين، فلا يتقدم إسلام عمر على سنة ست أو سبع (فتح الباري ٧/ ١٧٨).

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٧٦).

فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها. ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم. قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام[١].

ويبدو أن حدس المرأة كان أقوى، فقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله أن ينصر دينه به[٢].

فاستجاب الله دعاءه فأسلم عمر، فاعتز به الإسلام وصلى المسلمون بالبيت العتيق دون أن يتعرض لهم المشركون.

قال ابن مسعود: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[٣].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢ بإسناد فيه عبد الرحمن بن الحارث صدوق له أوهام، وعبد العزيز ابن عبد الله بن عامر تابعي كبير، ترجم له البخاري وابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا. (التاريخ الكبير ٦/ ١٣ والجرح والتعديل ٥/ ٣٨٥ وتعجيل المنفعة ٢٦١ وانفرد ابن حبان بتوثيقه (الثقات ٧/ ١١٠) وهو يروي الخبر عن أمه وهي شاهدة عيان.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٦١٧ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر». بإسناد فيه خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال (فتح الباري ٧/ ٤٨). وله شواهد من حديث ابن عباس (الطبراني: المعجم الأوسط ١/ ٣٤٤) بإسناد فيه مبارك بن فضالة صدوق مدلس، ويسوّي وقد صرّح بالسماع من شيخه فقط (انظر: تقريب التهذيب ٥١٩). وله شواهد آخر من حديث ابن مسعود (الطبراني: المعجم الكبير ١٠/ ١٩٦ - ١٩٧) بإسناد فيه مجالد بن سعيد تغير بأخرة، وفيه محمد بن الحسن الأسدي صدوق فيه لين (تقريب ٤١٧، ٥٢٠) حديث عائشة (سنن ابن ماجة ١/ ٣٩) بإسناد فيه ضعف بسبب رواية محمد بن عبيد وعبد الملك بن الماجشون ومسلم بن خالد الزنجي. فالحديث صحيح لغيره.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٤١، ١٧٧).

وقال أيضًا: «لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي»[١].

وقال: «إن إسلامه كان نصرًا»[٢].

وقال عبدالله بن عباس لعمر حين طعن: «فلما أسلمت كان إسلامك عزًّا، وأظهر الله بك الإسلامَ ورسولَ اللهِ وأصحابَهُ»[٣].

وقد ذكر عبدالله بن عمر - وهو شاهد عيان - ما حدث من رد فعل قريش حين أسلم عمر بن الخطاب، قال: «لما أسلم أبي عمر قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي.

قال: فغدا عليه.

قال عبدالله بن عمر: «فغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه. فقال له: يا جميل إني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتبعه عمر واتبعت أبي. حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر قد صبأ.

قال: ويقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٠ بإسناد صحيح، ومحمد بن عبيد ثقة زيادته صحيحة.
(٢) المعجم الكبير للطبراني ٩/ ١٨١ بإسناد حسن.
(٣) المعجم الأوسط للطبراني ١/ ٣٣٤ بإسناد حسن.

وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، وطلح[١] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشَّى حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه».

وقد عرف ابن عمر - فيما بعد - من أبيه أن الذي أجاره هو العاص بن وائل السهمي[٢].

لقد كان رد فعل قريش عنيفًا أمام حادثة إسلام عمر، حتى سال بهم الوادي يريدون قتله، لولا إجارة العاص له[٣].

أما قصة استماعه القرآن يتلوه الرسول ﷺ في صلاته قرب الكعبة وعمر مستخف بأستارها[٤]، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها

---

(١) أعيا (النهاية لابن الأثير ٣/ ١٣١).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٨ - ٢٩٩ وسيرة ابن إسحاق ١٨٤ - ١٨٥ بإسناد حسن، وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد قوي (السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٨ - ٣٩). وقد روى البخاري قصة إجارة العاص بن وائل لعمر في صحيحه (فتح الباري ٧/ ١٧٧).

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٧٧).

(٤) مسند أحمد ١/ ١٧ - ١٨ بسند صحيح إلى شريح بن عبيد لكنه مرسل ضعيف، لأن شريحا لم يدرك عمر (مجمع الزوائد ٩/ ٦٢). ومصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ١٠٣ وفي إسناده عنعنة أبي الزبير وهو مدلس والسياق يختلف، ولولا ذلك لاعتضد المرسلان لاختلاف مخرجهما. وأحاديث أبي الزبير منها ما صرح فيها بالسماع فهي صحيحة، ومنها ما عنعن في سائر طرقها عنه، فهذه إن كانت من رواية الليث عنه فهي صحيحة، وإن كانت من رواية غير الليث فهي ضعيفة، لأن أبا الزبير مدلس فيحتمل أن تكون واسطته ضعيفة.

لإسلامها، وضرب زوجها سعيد بن زيد، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات وإسلامه[١]، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة.

ولكن الحافظ ابن حجر ذكر بأن الباعث له على دخوله في الإسلام ما سمع في بيت أخته فاطمة من القرآن[٢].

ولا شك أن القرآن ببيانه الساحر وروعة تصويره لمشاهد القيامة وصفة الجنة والنار، كان له تأثير كبير في اجتذاب عمر إلى صف المسلمين، لأن عمر كان يتذوق الكلام البليغ ويعجب به. وعدم ثبوت الروايات حديثيًا لا يعني حتمية عدم وقوعها تأريخيًا.

دخول المسلمين شعب أبي طالب:

لقد حدد رسول الله ﷺ المكان الذي تقاسمت فيه قريش على الكفر - يعني تحالفها على مقاطعة بني هاشم - فذكر أنه خيف بني كنانة[٣]،وقد ورد الخبر مفصلا من مرسل أبي الأسود ومرسل الزهري[٤]، كما ورد من مرسل

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٧ - ٢٦٩ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢١٩ كلاهما بإسناد فيه القاسم ابن عثمان البصري ضعيف ومتنه منكر جدًا. (ميزان الاعتدال ٣/ ٣٧٥) وفضائل الصحابة لأحمد ١/ ٢٨٥ - ٢٨٨ من زيادة عبد الله بإسناد فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني وأسامة بن زيد بن أسلم، وكلاهما ضعيف (تقريب التهذيب ٩٨، ٩٩). ومتنهما يتعارض، ففي رواية ابن سعد قرأ في الصحيفة آيات من سورة طه، وأما رواية عبد الله بن أحمد ففيها أن الآيات من سورة الحديد.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ١٧٦.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٩٢، ٨/ ١٤). قال النووي والمحصب والأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة اسم لشيء واحد. (شرح صحيح مسلم ٩/ ٥٩).

(٤) بإسناد حسن إلى أبي الأسود والزهري (دلائل البيهقي ٢/ ٣١١ - ٣١٤ والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٢٧ - ٣٠).

عروة بن الزبير[١]، ونظرا لأن الزهري وأبا الأسود من تلاميذ عروة، فإن ثمة احتمالاً قويًّا أنهما يرويان الخبر عنه، مما يجعل المرسل[٢] لا يقوى بالتعدد لوحدة مخرجه.

وإذا لم تثبت رواية في تفاصيل دخول المسلمين شعب أبي طالب، فإن أصل الحادث ثابت[٣]، كما أن ذلك لا يعني عدم وقوع تفاصيل الحادث تأريخيًّا، فإن عروة رائد مدرسة المغازي، وهو إنما يروي عن الصحابة في الغالب. وخلاصة رواية عروة أن حصار الشعب وقع بعد فشل قريش في استعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، حيث أهاجها الأمر واشتد البلاء على المسلمين، وعزمت قريش أن تقتل رسول الله ﷺ، فأجمع بنو عبدالمطلب أمرهم على أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويحموه فيه، فدخلوا الشعب جميعا مسلمهم وكافرهم، وأجمع المشركون أمرهم على أن لا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله للقتل، وكتبوا في ذلك صحيفة فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد والجوع، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من قريش على ما حدث وأجمعوا على نقض الصحيفة، وقد أعلمهم الرسول بأنه لم يبق فيها سوى كلمات الشرك والظلم[٤]. وهكذا انتهت المقاطعة.

---

(١) بإسناد ضعيف إليه فيه محمد بن عمرو بن خالد الحراني لم أقف له على ترجمة وابن لهيعة ضعيف (الدلائل لأبي نعيم ١/ ٣٥٧ - ٣٦٢ والدلائل للبيهقي ٢/ ٣١٤).

(٢) يعني مرسل أبي الأسود والزهري، إذ هما أقوى سندا إليهما من مرسل عروة الذي لم يثبت عنه من طريق صحيحة.

(٣) قال ابن حجر: «ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة، لأن فيه دلالة على أصل القصة، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث «تقاسموا على الكفر». (فتح الباري ٧/ ١٩٣).

(٤) ذكر ابن هشام أنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما في الصحيفة إلا اسم الله تعالى، وقال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسما لله تعالى إلا أكلته، وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة (فتح الباري ٧/ ١٩٢). وانظر مغازي موسى بن عقبة (جمع محمد باقشيش) ١/ ١٢٦ - ١٢٧ وسيرة ابن هشام ١/ ٣٧٧.

أما رواية موسى بن عقبة فتذهب إلى أن المشركين أخرجوا بني هاشم من مكة إلى الشعب، فأمر رسول الله المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، فيكون حصار الشعب والهجرة إلى الحبشة قد وقعا في وقت متقارب.

وقد ذكر الزهري أن عمر الرسول ﷺ كان - حين الخروج من الشعب - تسعًا وأربعين سنة، وكان خروجهم في السنة العاشرة، وأنهم مكثوا في الشعب سنتين[1]، ويقال: إن رجوع من كان مهاجرًا بالحبشة إلى مكة كان بعد الخروج من الشعب[2]. وعلى ذلك يكون حصار الشعب قد بدأ في آخر العام السابع من البعثة.

لقد دعا رسول الله على قريش، فحدثت فيهم مجاعة حتى أكلوا الميتة والجلود، فجاء أبو سفيان يسأل رسول الله أن يدعو لهم ويناشده الرحم، فقرأ الآية ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله ﴿عَآئِدُونَ﴾، وكان الرجل يرى ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان. فدعا رسول الله ﷺ ربه فكشف عنهم العذاب، فعادوا إلى الكفر[3].

وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنهما:

ما إن غادر بنو هاشم شعب أبي طالب حتى أصيب رسول الله ﷺ بوفاة عمه أبي طالب - واسمه عبد مناف - وذلك في آخر السنة العاشرة من

---

(١) وقيل كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث، قال ابن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين (فتح الباري ٧/ ١٩٢).

(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع ٢٦ عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلاً.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٥١١، ٥٤٧، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤ و ٢/ ٥١٠، ٤٩٣) وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٤٠ - ١٤٢. والآيات من سورة الدخان ١٠ - ١٥.

المبعث[١]، وقد كان أبو طالب «يحوط النبي ويغضب له»[٢] و«ينصره»[٣]، وكانت قريش تحترمه، وقد جاء زعماؤها حين حضرته الوفاة، فحرضوا أبا طالب على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ وعرض عليه رسول الله الإسلام قائلا: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة. فقال أبو طالب: لولا أن تعيرني بها قريش يقولون إنما حمله عليها الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٤][٥].

لقد كانت أفكار الجاهلية راسخة في عقل أبي طالب، ولم يتمكن من تغييرها، فهو شيخ كبير يصعب عليه تغيير فكره وما ألفه عن آبائه، وكان أقرانه حاضرين وقت احتضاره، فأثَّروا عليه خوفا من شيوع خبر إسلامه، وتأثير ذلك على قومه.

وأما ما نقله ابن إسحاق من أن العباس نظر إلى أبي طالب يحرك شفتيه، فقال لرسول الله: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع. فهو خبر لا يصح[٦].

---

(١) فتح الباري ٧/ ١٩٤.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٩٣).

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٩٥.

(٤) القصص ٥٦.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٥٠٦) وصحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢١٣ - ٢١٦. وقد لفقت بين الروايتين الصحيحتين. أما رواية ابن إسحاق التي تفيد إسلام أبي طالب ففي سنده مبهم، فهي رواية ضعيفة (سيرة ابن هشام ٢/ ٤٦ - ٤٧). وانظر عن تخفيف العذاب عن أبي طالب صحيح البخاري (فتح الباري ١٠/ ٥٩٢) وصحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٨٤، ٨٥.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٧ بسند ضعيف فيه مبهم فضلا عن مخالفته لما في الصحيحين. مع أن العباس لم يكن قد أسلم آنذاك، فلا يصح أداؤه، وكان يسأل رسول الله: هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فلو عنده علم بإسلامه لما تساءل (فتح الباري ٧/ ١٩٤).

وعلى أي حال فإن موته أفقد رسول الله ﷺ سندًا كبيرًا، فلم يعد بنو هاشم مستعدين بعده لتقديم نفس القدر من الحماية لما يصيبهم من أضرار مادية ونفسية، كما تبين من حادثة المقاطعة[١].

وقد تجلى ذلك في رحلة النبي إلى الطائف طلبًا للنصرة، ثم استمراره في طلب النصرة من القبائل الأخرى بعد إخفاق محاولة الطائف.

وقد وعد رسول الله أبا طالب بأن يستغفر له الله ما لم ينه عن ذلك، فنهاه الله تعالى بعد حين من أواخر العهد المدني عن الاستغفار للمشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢].

أما خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقد توفيت قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بثلاث سنين[٣] في عام وفاة أبي طالب نفسه.

رحلته إلى الطائف:

إن الرحلة إلى الطائف كانت على إثر اشتداد مقاومة قريش للدعوة عقب وفاة أبي طالب، فسعى رسول الله ﷺ لإيجاد مركز جديد للدعوة،

---

(١) صالح العلي: محاضرات ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٩٣، ٨/ ٣٤١ حديث رقم ٤٦٧٥ وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٤ وأحمد في مسنده كما في الفتح الرباني ١٨/ ١٦٥ وقد دعا رسول الله ﷺ للمشركين في أحد بالمغفرة «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، كما في صحيح مسلم ٣/ ١٤١٧ حديث رقم ١٧٩٢ ودعا لعبد الله بن أبي ابن سلول المنافق حين موته، كما في صحيح البخاري (الفتح ٨/ ٣٣٣) وصحيح مسلم ٤/ ٨٦٥ ومسند أحمد (الفتح الرباني ٨/ ٥٠٦).

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٢٤).

وطلب النصرة من ثقيف، لكنها لم تستجب له، وأغرت به صبيانها فرشقوه بالحجارة. وفي طريق عودته من الطائف التقى بعداس الذي كان نصرانيًّا فأسلم. وأرخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث بعد موت أبي طالب وخديجة، وذكر أن مدة إقامته بالطائف كانت عشرة أيام[١].

وسائر هذه التفاصيل أوردها كُتَّاب المغازي[٢]، ولكن لم ترد رواية صحيحة فيها سوى أن عائشة ﵂ سألت رسول الله: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[٣]، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[٤]، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[٥]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليكم، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٢٢١ والواقدي متروك الحديث.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٩ - ٤٢٢ بإسناد صحيح لكنه مرسل محمد بن كعب القرظي، وهو المصدر الرئيسي عنده لمعلومات رحلة الطائف.

(٣) المقصود عقبة بالطائف، وليست عقبة منى، التي اجتمع بها مع الأنصار (الزرقاني: شرح المواهب ١/ ٢٩٨).

(٤) من أكابر أهل الطائف من ثقيف (فتح الباري ٦/ ٣١٥).

(٥) قرن الثعالب هو قرن المنازل ميقات أهل نجد تلقاء مكة على بعد يوم وليلة من مكة (معجم البلدان لياقوت ٤/ ٣٣٢).

(٦) جبلان بمكة.

فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبدالله وحده ولا يشرك به شيئًا»[١].

وهذه الرواية تكفي لإثبات الحادث من حيث وقوع الرحلة، ورد أهل الطائف عليه بشدة، وما عرض عليه من عقوبتهم، ورحمته بهم ورغبته باستبقائهم، وأخيرًا ذكرى الرحلة الأليمة في نفسه برغم مرور السنوات.

وأما دعاؤه على ثقيف بقوله: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ... إلخ) ولقاؤه بعداس فلم يثبت من طريق صحيحة[٢].

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٣١٢ - ٣١٣) وصحيح مسلم ٣/ ١٤٢٠ واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح لكنه مرسل محمد بن كعب القرظي، والمرسل من أنواع الضعيف لا يحتج به إلا مع قرائن. والحديث «**اللهم إليك أشكو**» ساقه من دون إسناد وكذلك قصة عداس ساقها دون إسناد، وأخرج الزهري وموسى بن عقبة قصة عداس مرسلا (الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ٣٠٠) والمراسيل إنما تتقوى ببعضها إذا تعددت مخارجها، ولا تعدد هنا فابن إسحاق وموسى بن عقبة تلميذان للزهري، فيقوى أن يكونا أخذا عنه (سيرة ابن هشام ١/ ٤١٩ - ٤٢١ وتاريخ الطبري ٢/ ٣٤٤ - ٣٤٦، وقد ساق الطبراني الحديث «**اللهم إليك أشكو**» من حديث عبد الله بن جعفر، لكن إسناده «فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» (الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ٣٥) ولم أقف عليه في معجم الطبراني الكبير المطبوع لأنه ناقص.

أسانيد قصة عداس

البيهقي

: الزهري (مرسلا)

: موسى بن عقبة (مرسلا)

محمد بن إسحاق (مرسلا)

وهذه المراسيل لا تقوى ببعضها، إذ الظاهر أن مخرجها واحد، لأن ابن إسحاق وموسى بن عقبة تلميذان للزهري.

obeikandl.com

الإسراء والمعراج:

بعد رحلة الطائف الأليمة، وقع حادث الإسراء والمعراج، فكان مواساة لرسول الله ﷺ. وقد أرخ الزهري ذلك قبل خروجه إلى المدينة بسنة[١].

وحادث الإسراء والمعراج ثابت بنص القرآن، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢].

وقد صحت الروايات في قيام جبريل عليه السلام بشق صدر الرسول ﷺ وغسله من ماء زمزم، وإفراغ الحكمة والإيمان في صدره.

ففي الصحيحين عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا، فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا»[٣].

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٥٤ والذهبي: تاريخ الإسلام ١/ ١٤١. وهو قول لعروة أيضا (ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ١٠٧) وأرخه ابن إسحاق بعد البعثة بنحو من عشر سنين، قبل وفاة أبي طالب وخديجة (سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٠٧)، أما إسماعيل السدي فذكر أن الإسراء قبل مهاجره بستة عشر شهرا. وأما البخاري فقد ذكر الإسراء بعد موت أبي طالب (فتح الباري ٧/ ١٩٦).

(٢) الإسراء: ١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب (١) كيف فرضت الصلوات في الإسراء (الفتح ١/ ٤٥٨) وكتاب الحج باب (٧٦) ما جاء في زمزم (الفتح ٣/ ٤٩٢) وكتاب الأنبياء باب ٥ ذكر إدريس عليه السلام (الفتح ٦/ ٣٧٤) ... وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب (٧٤) الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ١/ ١٤٨ (ط. محمد فؤاد عبد الباقي) وأما رواية أبي ذر عند البزار (كشف الأستار ٣/ ١١٥ - ١١٦) ففيه «وأنا ببعض بطحاء مكة» فهو شاذ، والسند ضعيف فيه انقطاع، حيث لم يسمع عروة من أبي ذر، وقد تفرد به عروة كما صرح البزار.

وقد وردت روايات أخرى صحيحة تفيد أن الرسول ﷺ كان في المسجد الحرام، أو في الحطيم أو الحجر بالذات من المسجد الحرام، حين شق صدره وغسل قلبه[١]، ويمكن الجمع بأنه كان في بيته ثم جاء به جبريل إلى المسجد الحرام[٢]. فالرواية التي سقتها تفيد بأن الغسل تم بماء زمزم، وهو في المسجد الحرام، وقد تبين الشراح أن الحكمة في شق الصدر وملء قلبه إيمانًا وحكمةً استعدادًا للإسراء به، تظهر في عدم تأثر جسمه بالشق وإخراج القلب مما يؤمنه جميع المخاوف العادية الأخرى. ومثل هذه الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته، ولمقدرة الله تعالى التي لا يستحيل عليها شيء[٣].

وقد أنكر ابن حزم الظاهري والقاضي عياض وقوع الشق ليلة الإسراء، وادعى أن ذلك تخليط من شريك - في إسناد البخاري - وليس كذلك، فقد ثبت وقوع شق الصدر في الإسراء والمعراج في الصحيحين من غير طريق شريك[٤].

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١٥٠، كتاب الإيمان، باب ٧٤ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات. والبخاري: كتاب بدء الخلق باب (٦) ذكر الملائكة (الفتح ٦/ ٣٠٢) وكتاب مناقب الأنصار، باب (٤٢) المعراج (فتح الباري ٧/ ٢٠١) وكتاب التوحيد باب (٣٧) ما جاء في قوله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما) (فتح ١٣/ ٤٧٨).

(٢) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٠٤.

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٠٥.

(٤) صحيح البخاري، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ١/ ٩١ وباب ما جاء في زمزم ٢/ ١٦٧ وباب المعراج ٤/ ٢٨٤ وصحيح مسلم ١/ ١٤٩ - ١٥٠، وراجع كتاب حول إنكار ابن حزم والقاضي عياض (شرح الشفا لملا علي القاري ١/ ٤١٤ وشرح الزرقاني على المواهب ٦/ ٢٣).

وبعد أن فرغ الملكان من شق صدره وغسله ولأمه أسري به إلى بيت المقدس على البراق[١]، حيث صلى بالأنبياء فيه، ووصف هيئاتهم[٢]. ثم عرج به إلى السماء السابعة، مارا ببقية السموات الست، ملتقيا بالأنبياء آدم ويوسف وإدريس وعيسى ويحيى بن زكريا وهارون وموسى وإبراهيم.

وقد سمع صريف أقلام الملائكة، وفرضت عليه الصلاة خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات[٣].

وقد وصف سدرة المنتهى بأن نبقها مثل الجرار، وورقها مثل آذان الفيلة[٤].

ووصف البيت المعمور في السماء السابعة وما يدخله من الملائكة[٥].

ووصف نهر الكوثر في الجنة، وأن حافتيه قباب اللؤلؤ مجوف، وطينه مسك أذفر[٦].

وقد سئل رسول الله ﷺ إن كان قد رأى ربه، فقال: نور أنَّى أراه[٧]!.

ووصف ما رآه من أنهار الجنة وهي أربعة أنهار؛ اثنان باطنان في الجنة واثنان ظاهران، وهما النيل والفرات[٨].

---

(١) دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٧/ ٢٠١ - ٢٠٢).
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٤٧٧ وصحيح مسلم ١/ ١٥١ - ١٥٧).
(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٤٥٨، ٣/ ٤٩٢، ٦/ ٣٧٤، ٧/ ٢٠١ - ٢٠٢) وصحيح مسلم ١/ ١٤٨. وقد لفقت بين الروايات الصحيحة.
(٤) مسند أحمد ٣/ ١٢٨ بإسناد صحيح، فإن أحاديث حميد الطويل عن أنس بن مالك إما سمعها منه أو بواسطة ثابت البناني وهو ثقة (تعريف أهل التقديس ٣٨).
(٥) صحيح مسلم ١/ ١٤٦.
(٦) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٧٣١).
(٧) صحيح مسلم ١/ ١٦١ وانظر صحيح البخاري (فتح الباري ٦/ ٣١٣).
(٨) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٠١ - ٢٠٢).

ووصف رؤيته لجبريل لما دنا منه وإن له ستمائة جناح، وإليه تشير الآية ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ إلى قوله ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[1].

ورأى في المعراج عذاب الذين يغتابون الناس، فإذا لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم[2].

وقد أتاه جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذ اللبن، فقال جبريل: هي الفطرة[3].

وقد وردت قصة الإسراء والمعراج مفصلة طويلة من طريق ضعيفة، متونها تشبه أخبار القصاص[4].

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٦١٠، ٦١١، ٦/ ٣١٣). وصحيح مسلم ١/ ١٥٨، ١٦٠ والآيات من سورة النجم ٩ - ١٨.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٢٤ وسنن أبي داود ٥/ ١٩٤ بإسناد صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٢/ ٦٠.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٠١ - ٢٠٢) وتدل رواية البخاري ومسلم أن اختياره الإناء في بيت المقدس قبل المعراج (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٨/ ٣٩١ وصحيح مسلم ١/ ١٤٥، ٥/ ١٥٠ - ١٥١).

(٤) تفسير الطبري ١٥/ ١١ - ١٤ ومستدرك الحاكم ٢/ ٥٧١ بإسناد فيه أبو هارون العبدي، وهو متروك (تقريب ٤٠٨) وقال الذهبي: «هذا حديث عجيب غريب» (السيرة النبوية للذهبي ١٧٨ - ١٨١). وثمة رواية أخرى في تفسير الطبري ١٥/ ٦ - ١١ وفي إسناده أبو جعفر الرازي وهو عيسى بن أبي عيسى صدوق سيء الحفظ. (تقريب ٦٢٩) وقد ضعف البيهقي هذا الحديث (دلائل النبوة ٢/ ٣٩٦ - ٤٠٣)، وقال الذهبي: «تفرد به أبو جعفر الرازي، وليس هو بالقوي، والحديث يشبه كلام القصاص، إنما أوردته للمعرفة لا للحجة» (السيرة النبوية للذهبي ١٨٢). وقال ابن كثير: في ألفاظه غرابة ونكارة شديدة» (تفسير ابن كثير ٣/ ٢١).

وعندما أخبر رسول الله قومه بما وقع معه من الإسراء والمعراج صدقه المؤمنون وكذبه المشركون، قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط.

قال: «فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به»[(١)]، لقد افتتن المشركون فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا، ولكنهم اضطروا للاعتراف بصحة وصفه لمسجد بيت المقدس[(٢)].

وقد صح أن بعض المسلمين ارتدوا، وأن أبا بكر رضي الله عنه قال للمشركين عندما أخبروه بخبر الإسراء والمعراج: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم. إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر بالصديق[(٣)].

ويمكن القول: إن حادثة الإسراء كانت تطمينًا ومواساة لرسول الله، وفتنة للكافرين الذين زاد عنادهم وكفرهم، ولبعض ضعفاء الإيمان ممن زلزل الحادث إيمانهم، فكفروا ولم يعودوا إلى حظيرة الإيمان حتى قتلوا[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٨/ ٣٩١). صحيح مسلم ١/ ١٥٦، ١٥٧ واللفظ له.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٠٩ بإسناد صحيح وقد صححه السيوطي والهيثمي (الدر المنثور ٤/ ١٥٥ ومجمع الزوائد ١/ ٦٤ - ٦٥).

(٣) مستدرك الحاكم ٣/ ٦٢ - ٦٣، ٧٦ - ٧٧ وصححه ووافقه الذهبي وفي إسناده محمد بن كثير الصنعاني صدوق كثير الغلط (التقريب ٥٠٤) وقد توبع (انظر الألباني: السلسلة الصحيحة ١/ ٥٥٢).

(٤) مسند أحمد ١/ ٣٤٩ بإسناد صححه ابن كثير (تفسير ابن كثير ٣/ ١٥) وفي إسناده هلال بن خباب صدوق عند الحافظ ابن حجر (تقريب ٥٧٥).

وقد تأول البعض حادث الإسراء والمعراج فزعم أنه رؤيا منامية، ومنهم من زعم أنه بالروح وليس بالجسد، والصواب كما ثبت عن ابن عباس أنه رؤيا عين بالروح والجسد. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[١].

وهذا هو رأي جمهور العلماء أن الإسراء كان يقظة بروحه وجسده، مرة واحدة[٢]. وأن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة[٣].

الطواف على القبائل طلبا للنصرة:

لم يدع رسول الله ﷺ فرصة للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوة - تفوته، وخاصة في موسم الحج عندما تقبل القبائل إلى مكة، قال ربيعة ابن عباد الدؤلي - وهو شاهد عيان -: «رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله عز وجل، ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول: «أيها الناس لا يغرنكم هذا دينكم ودين آبائكم. قلت: من هو؟ قالوا هذا أبو لهب»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٠٢ - ٢٠٣) والآية من سورة الإسراء ٦٠. وانظر تفسير الطبري ١٥/ ١١٠ حول نفي سفيان بن عيينة أن تكون رؤيا بالمنام.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ١٣، ١٤ وزاد المعاد لابن القيم ١/ ٩٩، ٣/ ٣٤، ٤٠.

(٣) فتح الباري ٧/ ١٩٧.

(٤) مسند أحمد ٣/ ٤٩٢ من زوائد عبد الله بإسنادين حسنين يقويان ببعضهما إلى الصحيح لغيره، والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٥٦ ومستدرك الحاكم ١/ ١٥ ويذكر «منى» بدل «ذي المجاز». وصححه وأقره الذهبي، لكن سعيد بن سلمة ليس على شرط البخاري كما قالا بل روى عنه شاهدًا. وفي رواية أخرى في مسند أحمد ٣/ ٤٩٢ بإسناد صحيح من زوائد عبد الله أيضا قال «عكاظ» وهي قريب عرفات وذو المجاز بعرفة أيضًا فلا تعارض. وانظر الرواية من حديث طارق بن عبد الله المحاربي في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة قسم ١ م ٤ / ق ٩٢ - أ - ب نقلاً عن مسند ابن أبي شيبة ٥١ ب (مصور الجامعة) وأبي يعلى الموصلي في المسند الكبير بإسناد صحيح كما في مصباح الزجاجة ٢/ ٣٤٧ ط. توفيق عفيفي، القاهرة.

ومما خاطب به الناس في ذي المجاز: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) وكان الناس يزدحمون عليه غير أنهم لا يقولون شيئًا، وهو لا يسكت بل يكرر دعوتهم. وأبو لهب يصيح: إنه صابئ كاذب[١] يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى[٢].

ومما خاطب به رسول الله ﷺ الناس في الموقف: هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل؟؟ فأتاه رجل من همدان. فقال: من أنت؟ فقال الرجل: من همدان.

قال: فهل عند قومك من منعة؟

قال: نعم.

ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه. فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم، ثم آتيك من عام قابل.

قال: نعم

فانطلق. وجاء وفد من الأنصار في رجب[٣].

وهذا يدل على أن الحادثة جرت في العام الحادي عشر من البعثة، فإن الأنصار قدموا في العام الحادي عشر من البعثة، حيث جرت بيعة العقبة الأولى، ثم في العام الثاني عشر حيث جرت بيعة العقبة الثانية، ثم كانت الهجرة إلى المدينة.

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٣٤١، ٣٤٢ ومستدرك الحاكم ١/ ١٥ والمعجم الكبير للطبراني ٥/ ٥٥ - ٥٦ بإسناد حسن لأنه من رواية عبد الرحمن بن أبي الزناد بالمدينة، وإنما تغير حفظه لما قدم بغداد (تهذيب التهذيب ٦/ ١٧١ - ١٧٢).

(٢) مسند أحمد ٤/ ٦٣ بإسناد صحيح.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٣٩٠ بإسناد صحيح، وقال الذهبي: «أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن إسرائيل وهو على شرط البخاري»: (السيرة النبوية ١٨٥). وسنن الترمذي ٥/ ١٨٤ وقال: «هذا حديث غريب صحيح». ومستدرك الحاكم ٢/ ٦١٢ - ٦١٣ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وعثمان بن المغيرة إنما روى له البخاري دون مسلم.

الاتصال بالأنصار ودعوتهم:

يذكر جابر بن عبدالله الأنصاري: «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر - كذا قال - فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فآويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام»[(١)].

وكانت الاتصالات الأولى بالأنصار في مواسم الحج والعمرة[(٢)]، فقد «قدم سويد بن الصامت الأنصاري مكة حاجًّا أو معتمرًا، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي؟

فقال له رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟

قال: مجلة لقمان - يعني حكمة لقمان.

فقال له رسول الله ﷺ: اعرضها عليَّ، فعرضها عليه. فقال له: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله تعالى عليَّ، وهو

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٣٩ - ٣٤٠ بإسناد حسن، كما يقول الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٧/ ٢١٢) ... ومستدرك الحاكم ٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥ وصححه وأقره الذهبي. والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٩٦ وقال: «هذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه».

(٢) أما قصة إسلام رفاعة بن رافع الزرقي ومعاذ بن عفراء بمكة قبل قدوم الستة من الأنصار فإسنادها فيه يحيى بن محمد الشجري ضعيف، وكان ضريرًا يتلقن (مستدرك الحاكم ٤/ ١٤٩ وللسيوطي: الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٠).

هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام. فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن. ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله يوم بعاث»[١]. وعلى أي حال فلا توجد دلائل على قيام سويد بن الصامت بالدعوة إلى الإسلام وسط قومه.

وقبل يوم بعاث بيسير - وهو اليوم الذي جرت فيه وقعة بين الأوس والخزرج انتصر فيها الأوس بعد قتل الكثير من الطرفين وفيهم من أكابرهم، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين[٢]. سعى الأوس لمحالفة قريش على الخزرج الذين كانوا أكثر منهم عددًا، فقدم أبو الحيسر أنس بن رافع في وفد من بني عبدالأشهل لهذا الغرض، فسمع بهم الرسول ﷺ، فجاءهم ودعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن. فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ - وكان غلامًا حدثًا -: «أي قوم! هذا والله خير مما جئتم له. فانتهره أبو الحيسر فصمت، وقام رسول الله ﷺ عنهم، ورجعوا إلى المدينة، وجرت الحرب بين الأوس والخزرج يوم بعاث، ثم مات إياس بن معاذ، وكان قومه يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، فقد استشعر الإسلام في لقائه مع رسول الله ﷺ في ذلك المجلس[٣].

وإذا كان الرجلان من الأوس اللذان استشعرا الإسلام لم تذكر المصادر قيامهما بالدعوة في وسط قومهما، فإن البداية المثمرة للاتصال بالأنصار كانت مع وفد من الخزرج في موسم الحج عند قبة منى.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤ بإسناد حسن من رواية عاصم بن عمر بن قتادة ثقة (ت ١٢٠ هـ) يرويه عن أشياخ من قومه الأنصار.

(٢) فتح الباري ٧/ ١١١ أرخ ابن سعد الوقعة بثلاث سنين قبل الهجرة (الطبقات ١/ ٢١٩).

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦، ٣٧ بإسناد حسن، وقال ابن حجر: إنه من صحيح حديث ابن إسحاق (الإصابة ١/ ١٤٦) ومسند أحمد ٥/ ٤٢٧ من طريق ابن إسحاق أيضا.

قال لهم رسول الله ﷺ: من أنتم؟

قالوا: نفر من الخزرج.

قال: أمن موالي يهود؟

قالوا: نعم

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن ..[١].

وذكر ابن إسحاق إسلامهم وقيامهم بالدعوة في المدينة[٢]، ولعل استشعار الأنصار لحاجتهم إلى عقيدة تربط بينهم بعد التمزق والعداوة التي خلفتها وقعة بعاث قبل سنتين فقط من هذا اللقاء، لعل ذلك كان سببًا هيأه الله تعالى لإسلامهم، وكذلك فإن مقتل رؤسائهم في بعاث خفف من التزاحم على الزعامة والأنفة من الدخول في الإسلام خوف فقدان السلطان والزعامة، وكذلك فإن الأنصار كانوا يجاورون يهود وهم أهل كتاب، فكانوا يعرفون قضايا الوحي والنبوة والبعث والجنة والنار، فلا شك أن أذهانهم كانت مهيئة لفهم الإسلام أكثر من سواهم.

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧ - ٣٩ بإسناد حسن. ولم تذكر المصادر وقوع البيعة منهم، ومع ذلك فقد عدها بيعة من ذكر وقوع ثلاث بيعات عند عقبة منى وهم ابن عبد البر (الدرر٦٧) وابن سيد الناس (عيون الأثر ١/ ١٥٦) والصالحي (٣/ ٢٦٧). أما ابن إسحاق وابن سعد والطبري فلم يعدوها بيعة.

(٢) المصدر السابق من دون إسناد ..

بيعة العقبة الأولى:

وقد جرت بيعة العقبة الأولى في العام اللاحق على لقاء وفد الخزرج، حيث حضر اثنا عشر رجلاً؛ عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، مما يشير إلى أن نشاط وفد الخزرج الذين أسلموا في العام الماضي تركز على وسطهم القبلي بالدرجة الأولى، لكنهم تمكنوا بنفس الوقت من اجتذاب رجال من الأوس، وكان ذلك بداية ائتلاف القبيلتين تحت راية الإسلام.

إن مصدر المعلومات الصحيحة الرئيسي عن بيعة العقبة الأولى هو عبادة بن الصامت الخزرجي - وهو شاهد عيان مشارك بالبيعة - وقد جاءت روايته في الصحيحين: وسيرة ابن إسحاق، لكنها عند ابن إسحاق أوضح وأكمل، ونصها كما يلي:

قال عبادة بن الصامت: «كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء - وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب: على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل: إن شاء غفر وإن شاء عذب»[1].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١، ٤٢ بإسناد صحيح لغيره، فإن حديث عبادة بن الصامت في صحيح البخاري قريب من سياق ابن إسحاق (فتح الباري ١/ ٦٦ وصحيح مسلم ٣/ ١٣٣٣).

والمقصود أنهم بايعوا على وفق بيعة النساء التي نزلت بها الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[١] بعد صلح الحديبية[٢]. حيث لم يرد في بيعة العقبة الأولى ذكر القتال.

ومعنى ذلك أن عبادة حدث بهذا النص بعد نزول الآية، فشبه بيعة العقبة الأولى ببيعة النساء. ويلاحظ أن نص البيعة يكل معاقبة الجرائم إلى الله تعالى في الآخرة، لعدم تشريع الحدود الإسلامية، مما يؤكد قدم النص، وأنه يخص بيعة العقبة الأولى.

ولما انجزت بيعة العقبة الأولى، وعاد الأنصار إلى المدينة بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين. فقام بمهمته خير قيام، وانتشر على يديه الإسلام، ورجع إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية[٣].

بيعة العقبة الثانية:

ولما انتشر الإسلام في المدينة، واطمأن المسلمون المهاجرون بين إخوانهم الأنصار، وبقي رسول الله ﷺ في مكة يلاقي عنت قريش وأذاها الذي كان يشتد على مر الأيام، قدم وفد من الأنصار في موسم الحج فبايعوا بيعة العقبة الثانية.

---

(١) الممتحنة ١٢.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ١/ ٦٦، ١٢/ ١٩٧ ويلاحظ أن الحافظ رحمه الله خلط بين نصوص بيعتي العقبة الأولى والثانية، مما جعل كلامه متداخلاً مضطربًا. وانظر تراجعه في ٧/ ٢٢٢ (انظر سليمان العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ٣٤٦). ولا يعيب هذا الحافظ ابن حجر، فكثيرًا ما حل لنا المشكلات العويصة في السيرة.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٨.

قال جابر بن عبدالله الأنصاري:«فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله نبايعك.

قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة.

قال: فقمنا إليه فبايعناه. وأخذ بيده أسعد من زرارة - وهو من أصغرهم - فقال: رويدًا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف. فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك فهو عذر لكم عند الله.

قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا ولا نسلبها.

قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة. «وقد نظر العباس في وجوه وفد الأنصار، ثم قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث. مما يدل على غلبة الشباب على الوفد[1].

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٣٩ - ٣٤٠ بإسناد حسن ومستدرك الحاكم ٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥ وصححه وأقره الذهبي. والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ١٩٦ وصححه على شرط مسلم، ويرى ابن حجر أن فيه علة تدليس أبي الزبير وقد عنعن. ويقول: فلعل تصحيحه أو تحسينه بالنظر لشواهده (فتح الباري ٧/ ٢٢٢ - ٢٢٣).

وهكـذا بايع الأنصار رسـول الله ﷺ على الطاعـة والنصرة والحرب، لذلك سماها عبادة بن الصامت: بيعة الحرب[١].

وتقدم رواية الصحابي كعب بن مالك الأنصاري- وهو أحد المبايعين في العقبـة الثانية - تفاصيل مهمة؛ قال: «خرجنا في حجاج قومنا من المشـركين، وقـد صلينا وفقهنـا ... ثم خرجنا إلـى الحج، وواعدنا رسـول الله ﷺ العقبة من أوسـط أيام التشـريق ... وكنا نكتم من معنا من المشـركين أمرنا ... فنمنا تلـك الليلة مع قومنـا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليـل خرجنا من رحالنا لميعاد رسـول الله، نتسـلل تسـلل القطا مسـتخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسـبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نسـائنا: نسيبة بنت كعب .. ، وأسـماء بنت عمرو ... فاجتمعنا في الشـعب ننتظر رسـول الله ﷺ حتـى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب - وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحـب أن يحضـر أمر ابن أخيه ويتوثق له - فلما جلس كان أول متكلم العباس ابـن عبدالمطلـب» فبين أن الرسـول في منعة من قومه بني هاشـم، ولكنه يريد الهجرة إلى المدينة، ولذلك فإن العباس يريد التأكد من حماية الأنصار له وإلا فليدعوه. فطلب الأنصار أن يتكلم رسـول الله فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط.

«فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام، ثـم قال: أبايعكـم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسـاءكم وأبناءكم. فأخذ البـراء بـن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثـك بالحق، لنمنعنك مما نمنع منـه أزرنـا. فبايعنا يا رسـول الله، فنحن واللـه أهل الحرب، وأهـل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر» فقاطعه أبو الهيثم بن التيهان متسـائلاً: «يا رسول الله

(١) سيرة ابن هشام ٢ - ٦٣ ومسند أحمد ٥/ ٣١٦ بإسناد صحيح لغيره.

إن بيننا وبين القوم حبالاً وإنا قاطعوها (يعني اليهود)، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟»

فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

ثم قال: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشرا نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس».

وقد طلب الرسول ﷺ منهم الانصراف إلى رحالهم، وقد سمعوا الشيطان يصرخ منذرًا قريشًا، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدًا بأسيافنا.

فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم».

فرجعوا إلى رحالهم، وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا، والمسلمون ينظرون إلى بعضهم![1].

وهكذا مرت البيعة بسلام، وعاد الأنصار إلى المدينة ينتظرون هجرة النبي ﷺ إليهم بتلهف كبير.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٩ - ٤٤٣، ٤٤٧ - ٤٤٨ بإسناد حسن، وقد صححه ابن حبان كما في فتح الباري ٧/ ٢٢١ وأخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٦٠ من طريق ابن إسحاق أيضًا وفي فضائل الصحابة ٢/ ٩٢٣ مختصرًا. ووقع في سند ابن إسحاق مرة ذكر الزهري واسطة لتحمله عن معبد بن كعب، وهو وهم سلك فيه الراوي الجادة (سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ٤٧ ووقع في ط. السقا بالاستناد إلى أصلين دون ذكر الزهري (سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧) وكذلك في فتح الباري ٧/ ٢٢١، وابن إسحاق يروي مباشرة عن معبد بن كعب ولا يحتاج إلى واسطة.

الهجرة إلى المدينة المنورة:

تدل النصوص الصحيحة على أن اختيار المدينة مهاجرًا لرسول الله ﷺ كان بوحي إلهي كما في الحديث: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»(١).

والحديث «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»(٢).

و«كأن النبي أُري دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أُري الصفة المختصة بالمدينة فتعينت»(٣).

أوائل المهاجرين:

ويتفق موسى بن عقبة وابن إسحاق على أن أبا سلمة بن عبدالأسد هو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، بعد أن آذته قريش إثر عودته من هجرة الحبشة، فتوجه إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة(٤).

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٢٦ وصحيح مسلم ٤/ ١٧٧٩. وأما حديث «إن الله أوحى إليَّ أي هؤلاء البلاد الثلاث نزلت، فهي دار هجرتك: المدينة أو البحرين أو قنسرين». (سنن الترمذي ٥/ ٧٢١ وقال: غريب) فهو منكر، كما قال ابن حبان في الثقات ٧/ ٣١١ والذهبي (الميزان ٣/ ٣٣٨) وقال ابن حجر: في ثبوته نظر، لأنه مخالف لما في الصحيح (فتح الباري ٧/ ٢٢٨).

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣١، وبيَّن الزهري أن اللابتين هما الحرتان) فتح الباري ٧/ ٢٣٤).

(٣) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٣٤ نقلاً عن ابن التين، وهو أحد شراح صحيح البخاري.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٨ من طريق ابن إسحاق من دون إسناد، وابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٦١. لذلك قالت أم سلمة ﷺ: إن أبا سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله (صحيح مسلم ٢/ ٦٣٢).

وكذلك فإن مصعب بن عمير وابن أم مكتوم كانا من أوائل المهاجرين، حيث كانا يقرئان الناس القرآن[١]. وقد تتابع المهاجرون فقدم المدينة بلال ابن رباح وسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر، ثم عمر بن الخطاب في عشرين من الصحابة[٢].

وقد سعت قريش بشتى الطرق إلى عرقلة الهجرة إلى المدينة، وإثارة المشكلات أمام المهاجرين، مرة بحجز أموالهم ومنعهم من حملها، ومرة بحجز زوجاتهم وأطفالهم، وثالثة بالاحتيال لإعادتهم إلى مكة. لكن شيئًا من ذلك كله لم يعق موكب الهجرة. فالمهاجرون كانوا على أتم الاستعداد للانخلاع عن أموالهم وأهليهم ودنياهم كلها تلبية لداعي العقيدة.

قالت أم المؤمنين أم سلمة[٣] ﷺ: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبدالله ابن عمرو بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبدالأسد رهط أبي سلمة.

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٠) من حديث البراء بن عازب.

(٢) السابق نفسه

(٣) هند بنت أبي أمية، هاجرت إلى الحبشة ثم إلى المدينة، ولما مات زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد تزوجها رسول الله ﷺ (الإصابة لابن حجر ٨/ ١٥٠) وقد ذكر الواقدي أن عمرها حين وفاتها ٨٤ سنة، وبينت الروايات الصحيحة أنها كانت حية في أيام ثورة ابن الزبير على يزيد بن معاوية، ولعل وفاتها كانت سنة ٦١ هـ كما قال محمد بن حبيب (المحبر ٨٥) فتكون سنها حين الهجرة ٢٣ سنة، وحين زواجها من رسول الله ﷺ ٢٧ سنة.

قالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده. وانطلق به بنو عبدالأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريبا منها. حتى مر بي رجل من بني عمي - أحد بني المغيرة - فرأى ما بي، فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: ورد بنو عبدالأسد إليَّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. وما معي أحد من خلق الله.

قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي. حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبدالدار، فقال لي: إلى أين يابنت أبي أمية؟

قالت فقلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟

قالت فقلت: لا والله إلا الله وبنيَّ هذا.

قال: والله ما لك من مترك.

فأخـذ بخطام البعير. فانطلـق معي يهوي بي، فو اللـه ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه اسـتأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيَّده في الشـجرة، ثم تنحـى إلى الشـجرة فاضطجع تحتها، فـإذا دنا الرواح قام إلـى بعيري فقدمه فرحله.

ثـم اسـتأخر عني فقـال: اركبي، فإذا ركبت فاسـتويت علـى بعيري أتى فأخـذ بخطامـه، فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يـزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

قـال فكانـت تقول: واللـه ما علمت أهـل بيت في الإسـلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة. وما رأيت صاحبًا قط أكرم من عثمان بن طلحة»[1].

وقد سـقت الخبر بطوله لمـا فيه من دلالة على الصعوبـات التي واجهها المهاجرون، وهي تشير إلى أثر العصبية في اتخاذ العشائر القرشية مواقفها من الأحداث. فقد انحاز قوم أبي سـلمة إليـه رغم مخالفتهم له في العقيدة، ثم إن الخبر يكشـف عن صورة من صور المروءة التي عرفها المجتمع القرشـي قبل الإسلام تتمثل في موقف عثمان بن طلحة وتطوعه في مصاحبة المرأة وإحسان

(١) سـيرة ابن هشـام ١/ ٤٦٩ - ٤٧٠ من رواية ابن إسـحاق بإسـناد صالح للاعتبار فيه سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة مقبول، ولم أجد له متابعًا، وقد تفرد بتوثيقه ابن حبان (البخاري: التاريـخ الكبيـر ٤/ ٨٠ وابـن أبي حاتم: الجـرح والتعديل ٤/ ١٦٦ وابن حبـان: الثقات ٦/ ٣٩٩ وابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٤٨ - ١٤٩ وتقريب التهذيب ٢٤٨). وعلى أي حال فهو خبر تاريخي لا يتعلق بالعقيدة أو الشريعة ورد من طريق صالحة لإثبات الحدث تاريخيًا.

معاملتها، مما يدل على سلامة الفطرة التي قادته أخيرًا إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، ولعل إضاءة قلبه بدأت منذ تلك الرحلة مع المرأة المسلمة.

وثمة صورة تاريخية لحدث آخر هو هجرة عمر بن الخطاب، كما حدَّث بها بنفسه، قال: «اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي، التناضب من أضاءة بني غفار فوق سرف[1]، وقلنا أينا (لا)[2] يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه.

قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنها هشام، وفتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل ابن هشام، والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما علينا المدينة - ورسول الله ﷺ بمكة - فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، فرقَّ لها.

فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم.

فقال: أبرُّ قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه.

فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. فأبي عليَّ إلا أن يخرج معهما. فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا قد فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول. فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما.

---

(١) التناضب: ضرب من الشجر، وأضاءة بني غفار على عشرة أميال من مكة، والأضاءة: الغدير (الروض الأنف للسهيلي ٤/ ١٨٨ - ١٩٠) وسرف: واد من أودية مكة دخل في العمران حاليا.

(٢) الزيادة يقتضيها السياق.

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟

قال: بلى.

قال: فأناخ وأناخ ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوا عليه فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن.

قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ولا توبة؛ قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم.

قالوا: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[1].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام ابن العاص.

قال فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى[2] أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها. حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي: أنها أنزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا.

---

(١) الزمر ٥٣ - ٥٥.

(٢) ذو طوى: واد بمكة.

قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ.[١].

وأما ما روي من إعلان عمر لهجرته وتهديده من يلحق به بثكل أمه فلم يصح[٢].

لقد نزل كثير من المهاجرين في قباء في مكان يسمى (العصبة) قبل مقدم رسول الله ﷺ، وكان سالم بن معقل مولى أبي حذيفة يؤمهم في مسجد قباء، لكونه أكثرهم قرآنًا[٣]. لقد أرخ الزهري لهجرة المصطفى ﷺ.

قال الزهري: «مكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقية ذي الحجة، والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش اجتمعوا» - يعني على قتله - وقال الحاكم:

«تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين»[٤] وقد أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة إلى المدينة، وكان يتردد على بيت أبي بكر كل يوم صباحًا ومساءً، لا يكاد يدع ذلك[٥]، فلما أذن له بالهجرة جاءهم ظهرًا على غير عادته وهو متقنع، فأخبر أبا بكر بذلك. واختياره وقت الظهر لأن الناس تأوي إلى بيوتها للقيلولة فرارًا من الحر، وتقنُّعُهُ يفيد شعوره

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٤ بإسناد حسن لذاته، حيث صرح ابن إسحاق بالتحديث، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٥ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٦/ ٦١) وانظر روايات أخرى للواقدي في الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٢٧١، وكأنه اختصار لمتن ابن إسحاق، وفيها «وكنا إنما نخرج سرا».

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ٤/ ٥٢ بإسناد فيه مجاهيل ثلاثة (الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ١٤٣. وانظر شرح المواهب اللدنية ١/ ٣١٩ والسيرة الشامية للصالحي ٣/ ٣١٥. وفي إسنادهما المجاهيل الثلاثة.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٢/ ١٨٤، ١٣/ ١٦٧).

(٤) فتح الباري ٧/ ٢٣٦.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣٠).

بالخطر من حوله، فقد اعتزمت قريش قتله، ولا بد أنها ستعمد إلى رصد تحركه. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]. وقد بينت رواية ضعيفة - بسبب الإرسال - قصة اجتماع المشركين على باب الرسول ﷺ وذره التراب على رءوسهم[2]. كما بين ابن عباس حصار المشركين لبيته ابتغاء قتله، ومبيت علي على فراشه، ولحاقه ﷺ بالغار، ولما علم المشركون ذلك في الصباح اقتصوا أثره إلى الغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت فتركوه. ولكن هذه الرواية لا تصح للاحتجاج بها، وهي «أجود ما روي في قصة نسيج العنكبوت على فم الغار»[3].

وقد ورد حديث ضعيف جدًّا يفيد أن الرسول ﷺ لما بات في غار ثور أمر الله شجرة، فنبتت في وجه الغار، وأمر حمامتين وحشيتين، فوقعتا بفم الغار. وأن ذلك سبب صدود المشركين عن الغار. ومثل هذه الأساطير تسربت إلى مصادر كثيرة في الحديث والسيرة[4].

---

(١) الأنفال ٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٣ بسند صحيح إلى محمد بن كعب القرظي لكنه مرسل.

(٣) مسند أحمد ١/ ٣٤٨ بإسناد ضعيف لكنه صالح للاعتبار، وقد حسنه ابن كثير (البداية والنهاية ٣/ ١٧٩ وقال: وهو أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار) وحسنه ابن حجر. (الفتح ٧/ ٢٣٦) وحسنه الزرقاني (شرح المواهب ١/ ٣٢٣) وفي السند عثمان بن عمرو ابن ساج الجزري فيه ضعف (ابن حجر: تقريب ٣٨٦) تفرد بتوثيقه ابن حبان، وحديثه صالح للاعتبار (تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٥) قال الألباني: واعلم أنه لا يصح حديث في العنكبوت والحمامتين (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه ابن سعد: ١/ ٢٢٩ وفي سنده أبو مصعب المكي مجهول وعوين بن عمرو منكر الحديث وسماه (عون) وأخرجه البزار كما في مسنده ٢ / ق ٢٣٢ وانظر كشف الأستار ٢/ ٢٩٩ - ٣٠٠ وفي إسناده عوين بن عمرو، وهو منكر الحديث لا شيء، وقد تفرد به، وشيخه أبو مصعب مجهول، وقد تسرب الحديث إلى المعجم الكبير للطبراني ٢٠/ ٤٤٣ ودلائل النبوة لأبي نعيم ٦/ ٢٦٩ - ٢٧٠ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢١٣ - ٢١٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٨١ وقال: غريب جدًّا من هذا الوجه. وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ١/ ٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

وعلى أي حال فإن ائتمار المشركين لقتله ثابت بنص الآية، فلا يبعد أن يحاصروا بيته.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها.

فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له، فدخل. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك.

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك[1] بأبي أنت يا رسول الله.

قال: فإني قد أذن لي في الخروج.

فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: نعم

قال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتي هاتين.

قال رسول الله ﷺ: بالثمن.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وضعنا لهم سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، وبذلك سميت ذات النطاق.

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا ثلاث ليال، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر - وهو غلام شاب ثقف لقن - فيدلج

(١) وكان قد زوجه عائشة رضي الله عنها.

من عندهما بسحر، فيصبح من قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حيث يختلط الظلام، ويرعى عليهم عامر ابن فهيرة - مولى أبي بكر - منحة من غنم، فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما - حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عدي بن عدي - هاديًا خرِّيتًا[١] قد غمس حلفًا في العاص بن وائل السهمي - وهو على دين الكفار - فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث»[٢].

وتشير رواية صحيحة أخرى إلى أن رسول الله وأبا بكر «ركبا فانطلقا حتى أتيا الغار وهو بثور»[٣].

وثمة رواية حسنة تفيد أن رسول الله ﷺ انطلق إلى الغار من بيته، حيث حاصره المشركون يريدون قتله، فلبس علي رضي الله عنه ثوبه ونام مكانه، واخترق رسول الله ﷺ حصار المشركين دون أن يروه، بعد أن أوصى عليًّا بأن يخبر أبا بكر أن يلحق به، فجاء أبو بكر وعلي نائم، وأبو بكر يحسبه أنه نبي الله. قال فقال: يا نبي الله.

فقال له علي: إن نبي الله ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون[٤] فأدركه.

---

(١) قال الزهري: والخريت الماهر بالهداية (فتح الباري ٧/ ٢٣٨)، وقد سماه ابن إسحاق «عبد الله بن أرقط».

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٣٨٩).

(٤) تقع في سبيل الست في طريق منى.

قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار.

قال: وجعل علي يُرمى بالحجارة، كما كان يُرمى نبي الله وهو يتضور، قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه، حتى أصبح(١)

ثم كشف رأسه، فقالوا: إنك للئيم.! كان صاحبك نرميه فلا يتضور، وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك(٢).

لقد كان غار ثور قد تحدد منطلقا للهجرة، وضرب الموعد مع الدليل في ذلك المكان، وكان خروج المصطفى والصديق إلى الغار ليلًا(٣).

ولا تقوى هذه الرواية على معارضة ما في الصحيح، ولكن يمكن التوفيق بينهما، لأن رواية الصحيح ليست صريحة في ركوبهما من بيت الصديق رضي الله عنه. فإذا افترضنا أن اصطحابهما معا جرى من بئر ميمون أمكن التوفيق بين الروايتين.

---

(١) تشير رواية ضعيفة إلى كسر الرسول ﷺ وعلى رضي الله عنه لصنم نحاسي كان في أعلى الكعبة، وذلك في الليلة التي بات فيها علي في فراشه ﷺ، ومدار الرواية على نعيم بن حكيم وهو صدوق له أوهام، ومثله لا يحتج بما تفرد به، وقد تفرد بهذه الرواية (مصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٤٨٨ - ٤٨٩ ومسند أحمد ١/ ٨٤ والنسائي: الخصائص ١٣٤ - ١٣٥ وتهذيب الآثار ٣/ ٢٣٧ ومستدرك الحاكم ٣/ ٥ وشيخ الحاكم هنا هو أبو بكر محمد بن إسحاق القطيعي، ٢/ ٣٦٦ - ٣٦٧ وقال الذهبي: إسناده نظيف والمتن منكر. وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٢، وموضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٤٣٢. والبوصيري: إتحاف الخيرة المهرة ٩٣ أ.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٢٦ - ٢٧ (ط: أحمد محمد شاكر) من حديث ابن عباس بإسناد حسن فيه أبو بلج صدوق. وقد صحح الشيخ أحمد محمد شاكر سنده، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين (مجمع الزوائد ٩/ ١١٩ - ١٢٠) وقال ابن حجر: «أبو بلج صدوق ربما أخطأ» (تقريب ٦٢٥). وقد انفرد بهذا الحديث، وقد قال ابن حبان: «أرى أن لا يحتج بما انفرد به من الرواية (المجروحين ٣/ ١١٢).

(٣) يؤيده ما في مغازي عروة ص ١٢٨، ١٢٩ ومغازي موسى بن عقبة، وكذلك رواية الواقدي في طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٧.

أسانيدُ قِصَّةِ أمِّ مَعبَدٍ

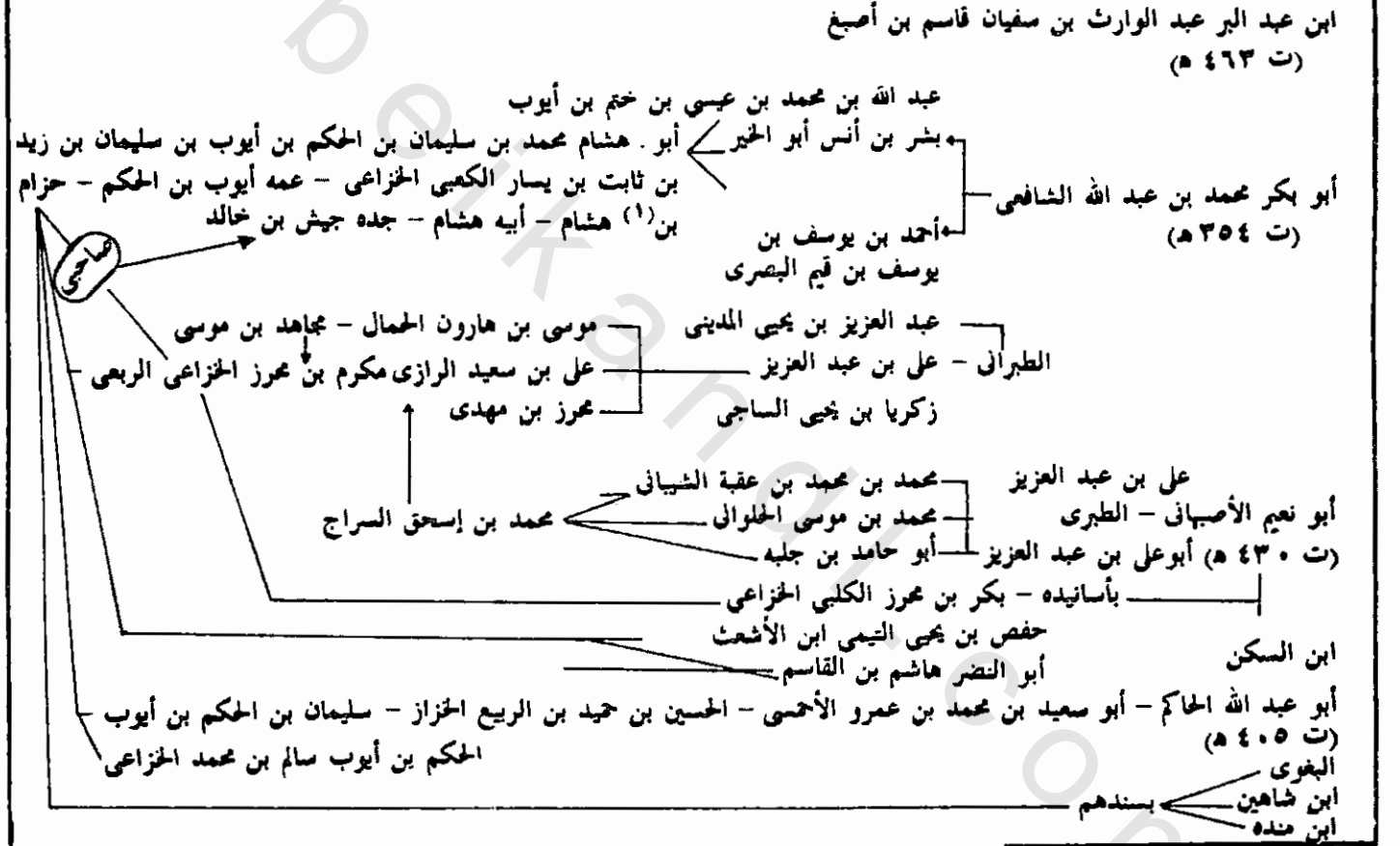

(١) تلتقى الأسانيد عند حرام بن هشام عن أبيه هشام – وهشام مجهول الحال .

محمد بن إسحق ——— بدون إسناد
إبراهيم بن سعد ——— أسماء بنت أبي بكر
أحمد بن محمد بن أيوب

أبو بكر[٢] الشافعي ——— محمد بن يحيى بن سلمان محمد بن يونس القرشي[٣] – عبد العزيز بن يحيى[٤] مولى العباس بن عبد المطلب – محمد
(ت ٣٥٤ هـ) بن سليمان بن سليط الأنصاري – أبيه – أبيه – جده أبو سليط

الإمام البخاري ——— عمرو بن زرارة ——— بشر بن محمد بن أبان أبو أحمد السكري – عبد الملك بن وهب المذحجي[٥]
(ت ٢٥٦ هـ) الحر بن الصياع – أبو معبد الخزاعي

ابن سعد ——— الحارث – محمد بن المثنى البزاز
(ت ٢٣٠ هـ)

البيهقي ——— أبو عبد الله الحافظ
(ت ٤٥٨ هـ) أبو بكر بن الحسن القاضي

ابن سيد الناس ——— عبيد الله بن أحمد بن فارس ——— أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي – أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري
أبو الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني ——— أبو طالب محمد بن علي بن الفتح – أبو الحسن محمد بن أحمد – عمر بن الحسين بن علي بن مالك الشيباني – يحيى بن إسماعيل – جعفر بن علي – سيف[٦] – هشام بن عروة – أبيه – أسماء بنت أبي بكر .

صحابي بدوي

(٢) أسانيد أبي بكر وردت في كتاب (عيون الأثر) لابن سيد الناس بإسناده إليه وهو : ابن سيد الناس عبد الرحيم بن يوسف المزي ابن الميرزد – ابن الحصين – ابن غيلان أبو بكر الشافعي . (٣) هو كذاب . (٤) كذاب . (٥) كذاب . أبو الهجاء غازي بن أبي الفضل (٦) هو سيف بن عمر التميمي ، متروك

ابن منده – بسنده
البزار – محمد بن معمر – يعقوب بن محمد الزهري[٧] – عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله[٨] – أبيه – أبيه – جابر بن عبد الله الأنصاري
البيهقي (مقتصر على الطريق الأول)
ابن كثير وابن سيد الناس « أبو الوليد » هشام بن عبد الملك « الطيالسي » – عبيد الله بن إياد بن لقيط – قيس بن النعمان .
الحاكم (أبو[٩] عبد الله) – أبو بكر أحمد بن إسحق الصبغي
الطبراني – بسنده[١٠]
البيهقي من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة – محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[١١] – عبد الرحمن بن الأصبهاني –
وابن كثير عبد الرحمن بن أبي ليلى – أبو بكر الصديق[١٢]

(٧) صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء . (٨) مجهول الحال . (٩) لم يصرح الحاكم باسم الراعي (١٠) لم أقف عليه في الطبراني ، وقال عنه الحافظ ابن حجر سنده صحيح وسياقه أتم . (١١) صدوق سيء الحفظ جدا . (١٢) منقطع ابن أبي ليلى لم يدرك أبا بكر – وقد اختلف في سماعه عمر .

لقد حمل أبو بكر رضي الله عنه ثروته ليضعها تحت تصرف رسول الله ﷺ، وقد ذكرت أسماء ابنته أنها خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم[١].

لقد مكث الاثنان في الغار ثلاث ليال، وقد تمكن المشركون من اقتفاء أثرهم إلى الغار، حيث رأى الصديق أقدامهم، فقال: يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا.

قال: «اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما»[٢]. وإلى هذا اليقين والتوكل الكامل تشير الآية ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣].

لقد أخفقت قريش في العثور عليهما، فأعلنت عن مكافأة لمن يقتلهما أو يأسرهما[٤].

لقد أرخت رواية واهية خروج النبي ﷺ من الغار في ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول، وأدركتهما القيلولة ظهر يوم الثلاثاء بقديد.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/ ٥ ودلائل البيهقي ٢/ ٤٨٠ بإسناد فيه انقطاع بين يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير وأسماء، ولكن يحيى أخذ الخبر عن أبيه عباد كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨، فهو الذي يروي عن جدته أسماء لذلك فإن السند حسن. ثم هو مما يتداول عادة في الوسط العائلي.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٥٧).

(٣) التوبة: ٤٠.

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣٨).

وهـذا التحديد يثير الشـك بصحة الروايـة فضلاً عن ضعف الإسـناد[١]. لقد مضى الاثنان في الطريق إلى المدينة، وهما يحسان برصد المشركين لهما.

قـال أبو بكـر: «أُخذ علينـا بالرصد فخرجنـا ليـلاً»[٢]، ووقعت معجزة للنبي ﷺ في طريق الهجرة، ولنقرأ ما سجله الصديق رضي الله عنه عن بداية الرحلة قـال: «أسـرينا ليلتنا كلها حتـى قام قائم الظهيـرة، وخلا الطريق فـلا يمر فيه أحد، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة فسـويت بيدي مكانًـا ينام فيه النبي - ﷺ - في ظلها ثم بسـطت عليه فروة. ثم قلت: «نم يا رسـول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنام».

ثم حكى أبو بكر خبر مرور راع بهما، فطلب منه لبنًا، وصادف استيقاظ الرسـول فشـرب ثم قال: «ألم يـأن للرحيل» قلت: بلى قـال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس، وأتبعنا سراقة بن مالك ونحن في جلد من الأرض[٣][٤].

---

(١) ابن سـعد: الطبقات ١/ ٢٣٢ بإسـناد واه فيه عبد الملك بن وهب المذحجي اسـمه الحقيقي سـليمان بن عمرو النخعي قال الإمام البخـاري: معروف بالكذب (التاريخ الكبير ٢/ ٢/ ٢٨ وانظـر حاشـية المعلمـي اليماني علـى الجرح والتعديـل لابن أبـي حاتـم ٥/ ٣٧٣) وانفرد بتوثيقه ابن حبان (الثقات ٧/ ١٠٨) وفي السـند محمد بن بشـر بن محمد الواسطي أبو أحمد العسـكري، والصحيح أنه بشـر بن محمد بن أبان السـكري البصري. ترجـم له البخاري ولم يذكـر فيـه جرحًـا ولا تعديـلاً (التاريخ الكبيـر ١/ ٢/ ٨٤) وقـال أبو زرعة الرازي: هو شـيخ (الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٤) وذكر ابن عدي فيه جرحًا شديدًا (الكامل ٣/ ١٠٩٦ - ١١٠٠) ثم إن أعلاه يشـك البخاري في إرسـاله حيث تسـاءل: الحر ما أدري أدرك أبا معبد؟ (التاريخ الكبير ١/ ٢/ ٨٤).

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٥٥).

(٣) يعني أرضًا صلبة مستوية.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٣٠٩ من حديث البراء بن عازب.

وقد اشتهر في كتب السيرة والحديث خبر نزول الرسول ﷺ وأصحابه بخيمة أم معبد بقديد طالبين القِرى، فاعتذرت لهم لعدم وجود طعام عندها، إلا شاة هزيلة لا تدر لبنًا. فأخذ الشاة فمسح ضرعها بيده، ودعا الله، وحلب في إناء حتى علت الرغوة، وشرب الجميع، ولكن هذه الرواية طرقها ما بين ضعيفة وواهية[1] إلا طريقًا واحدة يرويها الصحابي قيس بن النعمان

(١) أخرجها ابن إسحاق بإسناد معضل، كما في دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٤٩٣ من رواية يونس ابن بكير عنه.

- وابن خزيمة كما ذكر ابن حجر في الإصابة. ولم أقف على سنده

- والطبراني: المعجم الكبير ٤/ ٥٦ بإسناد فيه مكرم بن محرز انفرد ابن حبان بتوثيقه (الثقات ٩/ ٢٠٧) ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحًا ولا تعديلاً (الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٣)، وفيه محرز بن مهدي مجهول، وهشام بن خنيس مجهول الحال. وقال الهيثمي: وفي إسناده جماعة لم أعرفهم (مجمع الزوائد ٦/ ٥٨).

- وأخرجه الطبراني من طريق آخر فيه عبد العزيز بن يحيى المديني نسبه البخاري وغيره إلى الكذب، وفيه مجاهيل أيضًا، كما يقول الهيثمي (مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٩ وانظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٣ والضعفاء للعقيلي ٤/ ٧٤).

- وأخرجه ابن سعد: الطبقات ١/ ٢٣٠ بإسناد واه فيه سليمان بن عمرو النخعي، وقد دلس اسمه عبد الملك بن وهب المذحجي وهو كذاب (الكامل لابن عدي ٣/ ١٠٩٦).

- وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٨٤ وفي إسناده عبد الملك بن وهب المذحجي كذاب (التاريخ الكبير ٢/ ٢/ ٢٨) وشك البخاري في انقطاع السند.

- وأخرجه البزار بإسنادين أحدهما فيه عبد الرحمن بن عقبة مجهول الحال ويعقوب بن محمد الزهري صدوق كثير الوهم، والرواية عن الضعفاء. (كشف الأستار ٢/ ٣٠٠) والآخر سنده حسن ومتنه قال عنه البزار: وهو يخالف سائر الأحاديث في قصة أم معبد (كشف الأستار ٢/ ٣٠١) ومن اختلاف متنه قوله «نزلا بأبي معبد»، وذكره إسلام أبي معبد آنذاك. وهذه الرواية من حديث قيس بن النعمان أخرجها الطبراني بسند صحيح وسياق أتم مما ذكر ابن حجر (الإصابة ٥/ ٥٠٦). وساقها الحاكم في المستدرك ٣/ ٩ من حديث هشام بن حبيش مجهول الحال. وساقها من طريق قيس بن النعمان ٣/ ٨ - ٩ ولم يصرح باسم الراعي.

وأخرجه البغوي وابن شاهين وابن منده من طريق حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه (السيوطي: الخصائص الكبرى ١/ ٣٠٩).

السكوني، ونصها: «لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلا بأبي معبد فقال: والله ما لنا شاة، وإن شاءنا لحوامل، فما بقي لنا لبن.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني بسنده من حديث هشام بن حبيش (دلائل ٢٨٢) وأخرجه ابن سيد الناس من طريق أبي بكر الشافعي بإسناد فيه الكديمي وعبد العزيز بن يحيى متهمان (عيون الأثر ١/ ١٨٨).

وبإسناد فيه ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر معضلاً.

وبإسناد فيه هشام بن حبيش مجهول الحال، وأضاف ابن سيد الناس إلى أسانيد أبي بكر الشافعي سندًا فيه سيف بن عمر التميمي وهو متروك.

وساق ابن كثير الخبر من طريق ابن أبي ليلى، وليس فيه التصريح بأم معبد أو بأبي معبد، فسنده منقطع. كما ساقها من رواية البزار بالسند الذي فيه عبد الرحمن بن عقبة (البداية والنهاية ٣/ ١٨٩). ثم ساقها ابن كثير بواسطة البيهقي وفي إسناده عبد الملك بن وهب المذحجي كذاب (البداية والنهاية ٣/ ١٩٠) ويرى ابن كثير أن قصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا (البداية والنهاية ٣/ ١٨٨).

ثم إن الحافظ ابن حجر ذكر أن ابن منده ساقها من طريق عبد الرحمن بن عقبة (الإصابة ٦/ ١٦٩) وقد سبق أنه مجهول الحال.

وذكر الحافظ ابن حجر أيضا (الإصابة ٨/ ٣٠٦ - ٣٠٧) أن ابن السكن أخرجها من طريقين: طريق ابن الأشعث حفص بن يحيى التيمي ولم أقف على ترجمته، ومن طريق آخر بسند لم يذكر ابن حجر سائر رجاله لكن متن روايتي ابن السكن مخالف لمتون الروايات الأخرى.

كذلك أخرج القصة ابن عبد البر في الاستيعاب (١٩٥٨) بإسناد فيه الحكم بن أيوب الخزاعي انفرد ابن حبان بتوثيقه (لسان الميزان ١/ ٤٧٨) وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٤٥) فلم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وفيه محمد بن سليمان بن الحكم الخزاعي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٧/ ٢٦٩ ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، ولكنه كتب عنه فيبدو أنه - على الأقل - يعتبر بحديثه. وفيه عبد الله بن محمد بن عيسى بن حكيم لم أقف على ترجمته.

وهكذا لا يخلو طريق من طرقها من العلل القادحة، وهي بمجموع طرقها لا تصلح للاحتجاج بها في موضوع المعجزات. ولكن حديثي التابعي الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى والصحابي جابر بن عبد الله هما أمثل طرق قصة أم معبد يعتضدان إلى الحسن لغيره. لكنهما لا يقويان على مناهضة حديث قيس بن النعمان من طريق الطيالسي فإنه حسن لذاته، بل يرى ابن حجر أنه صحيح.

فقال رسول الله ﷺ: أحسبه - فما تلك الشاة؟ فأتى بها. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عسًّا فسقاه، ثم شربوا، فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ؟ قال: إنهم ليقولون. قال: أشهد أن ما جئت به حق. ثم قال: أتبعك قال: لا حتى تسمع أنا قد ظهرنا. فاتبعه بعد». وهذا الخبر فيه معجزة حسية للرسول ﷺ. شاهدها أبو معبد فأسلم[1]. ولندع رواية سراقة ابن مالك تكمل الخبر التاريخي، ففيها تفاصيل تكشف عن المعجزة النبوية.

قال سراقة: «لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة جعلت قريش فيه مئة ناقة لمن رده عليهم. قال: فبينا أنا جالس في نادي قومي، إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا عليَّ آنفا، إني لأراهم محمدًا وأصحابه.

قال: فأومأت إليه بعيني أن اسكت. ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم، قال: لعله، ثم سكت.

قال: ثم مكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها[2]. ثم انطلقت فلبست لأمتي، ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره: لا يضره.

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن، وقال معقبًا: لا نعلم روى قيس عن النبي ﷺ إلا هذا، ولا نعلمه بهذا اللفظ إلا عنه، وهو يخالف سائر الأحاديث في قصة أم معبد (كشف الأستار ٢/ ٣٠١) وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (٦/ ٥٨) وقال الحافظ ابن حجر: «أخرجها الطبراني من حديث قيس بن النعمان بسند صحيح وسياق أتم. (الإصابة ٥/ ٥٠٦).

(٢) القداح والأزناد والسهام والأقلام والأزلام معناها واحد، وهي أعواد تسوَّى للاستقسام الذي هو من القسم أي النصيب، وهي متشابهة في أقدار الأجسام، وإنما تختلف بالعلامات والوسام، وبواسطتها يستشير المشرك الآلهة (محمود سليم الحوت: في طريق المثيولوجيا عند العرب ص ١٤٢ - ١٤٦).

قال: وقد كنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المئة الناقة.

قال: فركبت على أثره، فبينا فرسي يشتد بي، عثر بي فسقطت عنه.

قال فقلت: ما هذا!!

قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره: لا يضره.

قال: فأبيت إلا أن أتبعه.

قال: فركبت في أثره، فبينا فرسي يشتد بي، عثر بي فسقطت عنه.

قال فقلت: ما هذا!!

قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره: لا يضره.

قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار.

قال: فعرفت حين رأيت أنه قد منع مني، وأنه ظاهر.

قال: فناديت القوم، فقلت: أنا سراقة بن جعشم، أنظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه.

قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له وما تبتغي منا؟ فقال لي ذلك أبو بكر.

قال قلت: تكتب لي كتابة، يكون آية بيني وبينك.

قال: اكتب له يا أبا بكر.

فكتب لي كتابًا في عظم أو في رقعة أو في خزفة، ثم ألقاه إليَّ، فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فسكت، فلم أذكر شيئًا مما كان». ثم حكى خبر لقائه برسول الله ﷺ بعد فتح مكة وإسلامه(١).

وقد ذكر سراقة في رواية صحيحة: أنه اقترب من الاثنين حتى سمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، كما ذكر أنه عرض عليهما الزاد والمتاع، فلم يأخذا منه شيئًا، وأن وصيته كانت: أخفِ عنا(٢).

وتذكر رواية صحيحة أنه صار آخر النهار مسلحة للنبي ﷺ بعد أن كان جاهدًا عليه أوله. وأن الرسول هو الذي دعا عليه فصرعه الفرس(٣). وقد احتاط الاثنان في الكلام مع الناس الذين يقابلونهم في الطريق، فإذا سئل أبو بكر عن رسول الله قال: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب إنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير(٤). وقد صح أن الدليل أخذ بهم طريق السواحل(٥). وفصَّل ابن إسحاق وصف الطريق الذي سلكوه قال: «فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل - حتى عارض الطريق - أسفل من عسفان، ثم سلك بهما أعلى أسفل أمج، ثم استجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرَّار، ثم سلك ثنيَّة

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٢ - ١٠٤ بإسناد صحيح لغيره، لأن ابن إسحاق توبع في صحيح البخاري، تابعه عقيل (صحيح البخاري كما في فتح الباري ٧/ ٢٣٠ - ٢٤٨، وبين الحافظ ابن حجر وصل حديث الزهري في ٧/ ٢٤٠).
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣٨ - ٢٣٩).
(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٤٩ - ٢٥٠).
(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٤٩).
(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣٢).

المُرَّة، ثم سلك بهما لِقْفًا ثم أجاز بهما مِدْلَجة لِقْف، ثم استبطن بهما مدلجة مَحَاج، ثم سلك بهما مَرجِح محاج، ثم تبطَّن بهما مرجح من ذي الغَضْوين ثم من ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد، ثم على الأجْرد ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مدلجة تِعهن، ثم على العِبابيد، ثم أجاز بهما الفاجَّة.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ - رجل من أسلم أوسن بن حُجر على جمل له يقال له ابن الرداء إلى المدينة، وبعث معه غلامًا يقال له مسعود بن هُنيدة، ثم خرج بهم دليلهما من العَرْج، فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة حتى هبط بهما بطن رِئم، ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، يوم الاثنين حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل[1].

وكان المسلمون في المدينة قد سمعوا بخروجه من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى ظاهر المدينة ينتظرونه، حتى إذا اشتد الحر عليهم عادوا إلى بيوتهم، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه انتظروه، حتى لم يبق ظل يستظلون به فعادوا، وقدم الرسول وقد دخلوا بيوتهم، فبصر به يهودي فناداهم، فخرجوا فاستقبلوه، وكانت فرحتهم به غامرة، فقد حملوا أسلحتهم وتقدموا نحو ظاهر الحرة فاستقبلوه.

---

(١) الحاكم: المستدرك ٣/ ٨ بإسناد حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وصححه ابن حجر وأشار إلى طريقين آخرين له (فتح الباري ٧/ ٢٣٨). وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٩١ - ٤٩٢ دون إسناد، وفي صحيح مسلم ٤/ ٢٣١١ أن قدومهما المدينة ليلاً، ويجمع بينهما أن الوصول ليلاً والدخول نهارًا (الفتح ٧/ ٢٤٤).

وقد نزل رسول الله ﷺ في قباء في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، وأسس مسجد قباء[١].

ولما عزم رسول الله ﷺ أن يدخل المدينة أرسل إلى زعماء بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم[٢].

وقد سجلت رواية أن عدد الذين استقبلوه خمس مئة من الأنصار[٣]. فأحاطوا بالرسول وبأبي بكر وهما راكبان، ومضي الموكب داخل المدينة، «وقيل في المدينة: جاء نبي الله جاء نبي الله ﷺ»[٤]. وقد صعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان في الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله[٥].

قال الصحابي البراء بن عازب - وهو شاهد عيان: «ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ[٦].

أما تلك الروايات التي تفيد استقباله بنشيد (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فلم ترد بها رواية صحيحة[٧].

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٣٩، ٢٦٥)، وسيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢ بسند حسن، وهو صحيح لغيره.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير كما في فتح الباري ٧/ ٢٥١، ولم أجده في المطبوع، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٥٠).

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٣١١.

(٦) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٠).

(٧) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٦١، ٢٦٢. وابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٥١، والزرقاني: شرح المواهب اللدنية ١/ ٣٥٩، ٣٦٠.

وأقبل رسول الله ﷺ يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب الأنصاري، فتساءل: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي. فنزل في داره[١].

وقد ورد في كتب السيرة أن زعماء الأنصار تطلعوا إلى استضافة الرسول ﷺ، فكلما مر بأحدهم دعاه للنزول عنده، فكان يقول لهم: دعوا الناقة، فإنها مأمورة. فبركت على باب أبي أيوب[٢]. وكان داره طابقين، قال أبو أيوب الأنصاري: «لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله - بأبي أنت وأمي - إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: يا أبا أيوب: إنَّ أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت.

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٥٠، ٢٦٥).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤ دون إسناد، ومغازي موسى بن عقبة ١/ ١٨٣ دون إسناد، وأخرجها ابن عائذ وسعيد بن منصور كلاهما من طريق عطاف بن خالد - وهو صدوق يهم - عن صديق (ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٤٦ والتقريب ٣٩٣). وعطاف يرويها عن صديق بن موسى عن عبد الله بن الزبير (البداية والنهاية ٣/ ٢٠٠)، وأشار ابن حجر إلى تخريج الحاكم لها من طريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنس (فتح الباري ٧/ ٢٤٥) ولم أجده في طبعة المستدرك (وإسحاق ثقة كما في التقريب) وإسناد الحاكم في البداية وا لنهاية ٣/ ١٩٧ وهو سند ضعيف فيه إبراهيم بن صرمة شيخ يعتبر بحديثه ومحمد بن سليمان لا يعرف حاله. وأخرجها ابن سعد بسند فيه الواقدي (الطبقات ١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) وبسند معضل (١/ ٢٣٧). وأخرجها البيهقي كما في البداية والنهاية ٣/ ٢٠٠ من طريق سعيد بن منصور نفسه، وفيه عطاف بن خالد، ويعتضد حديث عبد الله بن الزبير بحديث أنس فيرقى إلى الحسن لغيره.

قال: فلقد انكسر حب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه[١].

وقد أفادت رواية ابن سعد أن مقامه بدار أبي أيوب سبعة[٢] أشهر.

وقد اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين[٣]. وآثروهم على أنفسهم، فنالوا من الثناء العظيم الذي خلد ذكرهم على مر الدهور وتتالي الأجيال، إذ ذكر الله مأثرتهم في قرآن يتلوه الناس: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

وقد أثنى رسول الله ﷺ على الأنصار ثناءً عظيمًا، فقال: (لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار)[٥] و (لو سلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم)[٦].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٨ - ٤٩٩ بإسناد صحيح، ومستدرك الحاكم ٣/ ٤٦٠ - ٤٦١ بإسناد صحيح، قال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأشار الحافظ ابن حجر إلى تخريج أبي سعيد الخركوشي له من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس في كتابه «شرف المصطفى» (فتح الباري ٧/ ٢٥٢) وقد حقق «شرف المصطفى» للخركوشي في جامعة اكستر ببريطانيا، ولم أقف عليه. وانظر طريقا آخر له في البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٩٩ من طريق أفلح مولى أبي أيوب عنه وإسناده صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٣٧ بإسناد ضعيف.

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٤).

(٤) الحشر ٩.

(٥) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١١٢).

(٦) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١١٠).

(أسانيد حديث (دعوا الناقة فإنها مأمورة)

محمد بن إسحاق: (دون إسناد).

موسى بن عقبة: (دون إسناد).

سعيد بن منصور: من طريق عطاف بن خالد ـ صديق بن موسى ـ عبدالله بن الزبير

البيهقي:

محمد بن سعد ـ الواقدي

محمد بن عائذ .....

الحاكم ـ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ـ محمد بن مخلد الدوري ـ محمد بن سليمان - ابن إسماعيل بن أبي الورد ـ إبراهيم بن أبي صرمة ـ يحيى بن سعيد ـ إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ـ أنس.

البيهقي

ابن كثير

obeikandl.com

وكان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة، ثم أمر ببناء المسجد في أرض كان فيها نخل لغلامين يتيمين من بني النجار[١]. وقد اشتراها رسول الله ﷺ، وقام المسلمون بتسويتها وقطع نخيلها وصفوا الحجارة في قبلة المسجد، وما أعظم سرورهم وهم يعملون في بنائه ورسولُ الله ﷺ يعمل معهم، وهم يرتجزون:

اللهمّ إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة فانصُرِ الأنصارَ والمهاجرة[٢]

وقد بناه أولًا بالجريد، ثم بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين[٣].

كانت الهجرة قاسية الوقع على المهاجرين.

وقف رسول الله ﷺ بالحَزْورة في سوق مكة، فقال: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إليَّ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت»[٤].

لقد واجه المهاجرون من مكة صعوبة اختلاف المناخ، فالمدينة بلدة زراعية، تغطي أراضيها بساتين النخيل، ونسبة الرطوبة في جوها أعلى من مكة، وقد أصيب العديد من المهاجرين بالحمى، منهم أبو بكر وبلال. فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمَّى يقول:

كلّ امرىء مصبّح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحُمَّى يرفع عقيرته يقول:

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٥).
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ٢٦٥).
(٣) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٤٦ نقلًا عن الزبير بن بكار.
(٤) رواه الترمذي (سنن ٥/ ٧٢٢) وقال: حسن غريب صحيح. وابن ماجة: سنن ٢/ ١٠٣٧ رقم الحديث ٣١٠٨ والدارمي: سنن ٢/ ٢٣٩.

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخِرٌ وجَليلُ

وهل أَرِدَنْ يومًا مياهَ مِجَنَّةٍ وهل يَبْدُونَ لي شامةٌ وطَفيلُ

فأخبرت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقال «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشدّ، وصحّحها، وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حمّاها فاجعلها بالجُحفة»(١).

وقال: «اللهم امض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم»(٢).

لقد تغلب المهاجرون على المشكلات العديدة، واستقروا في الأرض الجديدة، مغلبين مصالح العقيدة ومتطلبات الدعوة، بل صارت الهجرة واجبة على كل مسلم لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس، حتى كان فتح مكة فأوقفت الهجرة. لأن سبب الهجرة ومشروعيتها نصرة الدين وخوف الفتنة من الكافرين.

والحكم يدور مع علته، ومقتضاه أن من قَدِر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه، وإلا وجبت. ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر، فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامةُ فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام(٣).

وعندما دون التاريخ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذت مناسبة الهجرة بداية التاريخ الإسلامي، لكنهم أخّروا ذلك من ربيع الأول إلى

(١) صحيح البخاري (فتح الباري٧/ ٢٦٢).
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري٧/ ٢٦٩).
(٣) ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٢٩.

المحـرم، لأن ابتـداء العزم على الهجرة كان في المحرم، إذ بيعة العقبة الثانية وقعـت في أثنـاء ذي الحجة، وهي مقدمـة الهجرة. فكان أول هلال اسـتهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يجعل مبتدأ التاريخ الإسلامي[١].

(١) فتح الباري ٧/ ٢٦٨.

obeikandl.com